

مناورات السياسة

من جهاد الوطنية إلى مناورات السياسة ومساومات المفاوضة
تاريخ ثورة ١٩١٩ وتصريح ٢٨ فبراير وإنشاء الدستور والبرلمان

بقلم

أنور الجندي

صفر ١٣٦٦ — يناير ١٩٤٧

دار الطباعة والنشر الإسلامية

سلسلة رسائل تاريخ الفكرة الإسلامية
منهاجها . قواعدها . غايتها . . وسائلها

﴿ المجموعة الثانية ﴾

تاريخ الاحتلال الإنجليزي لوادي النيل وآثاره في السودان . .

١ — أخرجوا من بلادنا (تاريخ مصر من عهد محمد على إلى ثورة عرابى إلى يقظة ثورة ١٩١٩

٢ — مناورات السياسة (تاريخ مصر من ثورة ١٩١٩ إلى الدستور والبرلمان)

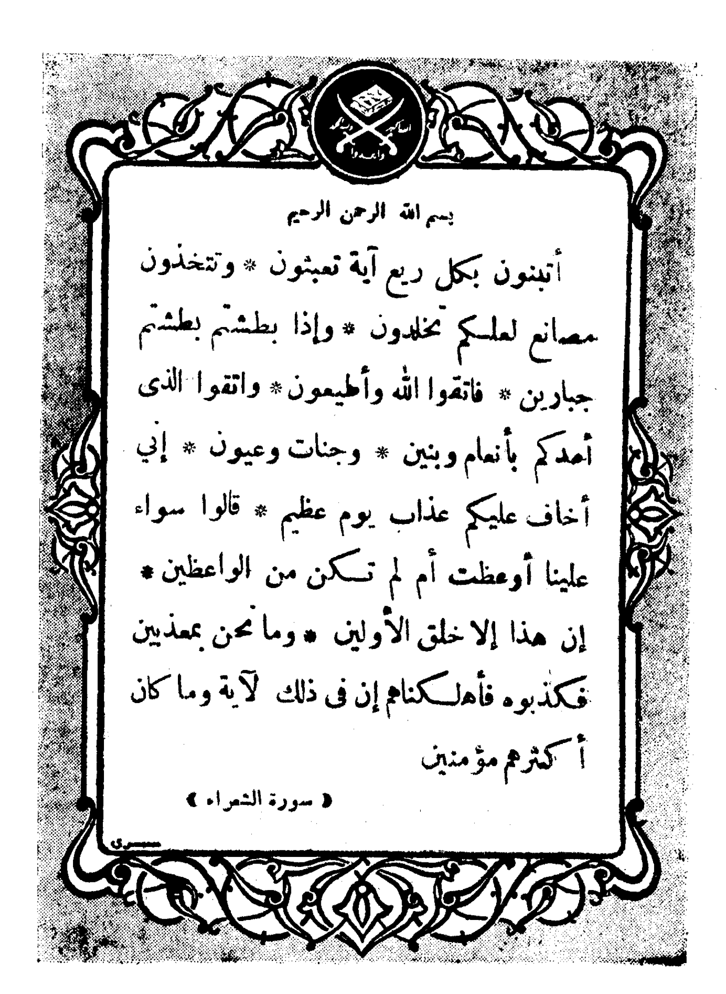
٣ — الأحزاب السياسية والزعماء فى الحكم وخارجه (تاريخ الأحزاب والوزارات من ٩٢٠ - ٩٤٦)

٤ — النيل لا يتجزأ (تاريخ المسألة السودانية فى المفاوضات وآثار الاحتلال والسودنة والاستفتاء)

تظهر تباعا أول كل شهر

﴿ المجموعة الثالثة ﴾

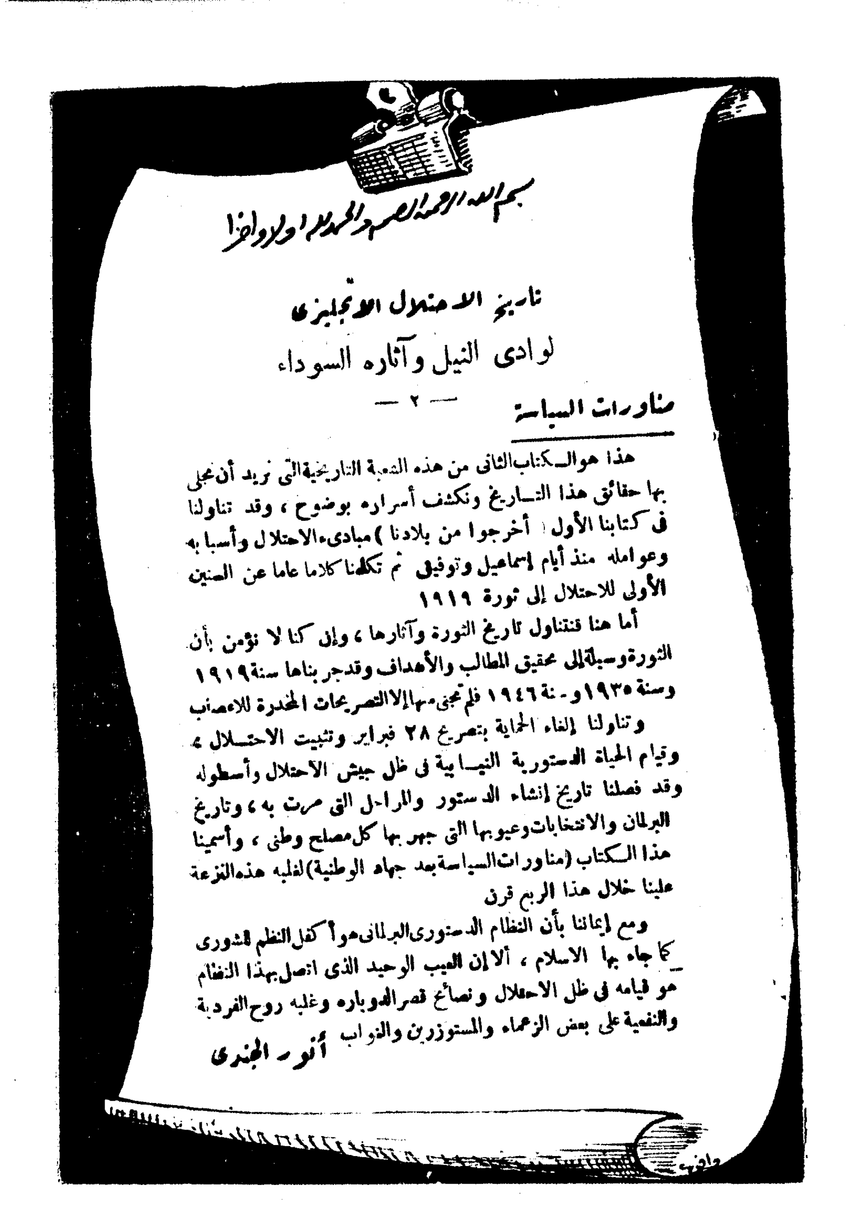
دسائس الاستعمار فى الشرق الاسلامى



بسم الله الرحمن الرحيم

أتبنون بكل ريع آية تعبثون * وتتخذون
مصانع لعلكم تخلدون * وإذا بطشتم بطشتم
جبارين * فاتقوا الله وأطيعون * واتقوا الذى
أمدكم بأنعام وبنين * وجنات وعيون * إني
أخاف عليكم عذاب يوم عظيم * قالوا سواء
علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين *
إن هذا إلا خلق الأولين * وما نحن بمعذبين
فكذبوه فأهلكناهم إن فى ذلك لآية وما كان
أكثرهم مؤمنين

« سورة الشعراء »



بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله أولا وآخرا

تاريخ الاحتلال الإنجليزى

لوادى النيل وآثاره السوداء

— ٢ —

مناورات السياسة

هذا هو الكتاب الثانى من هذه الشعبة التاريخية التى نريد أن نجلى بها حقائق هذا التاريخ ونكشف أسراره بوضوح ، وقد تناولنا فى كتابنا الأول (أخرجوا من بلادنا) مبادىء الاحتلال وأسبابه وعوامله منذ أيام إسماعيل وتوفيق ثم تكلمنا كلاما عاما عن السنين الأولى للاحتلال إلى ثورة ١٩١٩

أما هنا فنتناول تاريخ الثورة وآثارها ، وإن كنا لا نؤمن بأن الثورة وسيلة إلى تحقيق المطالب والأهداف وقد جربناها سنة ١٩١٩ وسنة ١٩٣٥ وسنة ١٩٤٦ فلم نجن منها إلا التصريحات المخدرة للأعصاب

وتناولنا إلغاء الحماية بتصريح ٢٨ فبراير وتثبيت الاحتلال ، وقيام الحياة الدستورية النيابية فى ظل جيش الاحتلال وأسطوله وقد فصلنا تاريخ إنشاء الدستور والمراحل التى مرت به ، وتاريخ البرلمان والانتخابات وعيوبها التى جهر بها كل مصلح وطنى ، وأسمينا هذا الكتاب (مناورات السياسة بعد جهاد الوطنية) لغلبة هذه النزعة علينا خلال هذا الربع قرن

ومع إيماننا بأن النظام الدستورى البرلمانى هو أكفل النظم للشورى كما جاء بها الاسلام ، ألا إن العيب الوحيد الذى اتصل بهذا النظام هو قيامه فى ظل الاحتلال ونصائح قصر الدوبارة وغلبة روح الفردية والنفعية على بعض الزعماء والمستوزرين والنواب

أنور الجندى

وطنية وسياسة

كانت حركة عرابي ثورة ضد الطغيان الأجنبي انتهت باحتلال الانجليز لمصر باسم تثبيت عرش الخديوى ، ثم أشرقت آمال الحرية والكرامة والجلاء فى صيحة مصطفى كامل ومحمد فريد ، فكانت النواة الأولى لثورة ١٩١٩ التى هزت الدنيا وأثبتت أن فى مصر شعباً لا يقبل الذل ولا يرضى بالخسف ولا يستكين إلى الجور ولا يستسلم للظلم ، ولكن الغاصب الظالم استطاع أن يطفىء النار بالماء فخلق طبقة جديدة من الزعماء وصنع طوائف جديدة من القادة غير أولئك الذين أيقظوا الشعب وطالبوا بحريته الكاملة ، واستطاع هذا الفريق الجديد أن يخلق جوا من التفاهم والصداقة والمفاوضة والمساومة بعد أن كان الاتجاه جهاداً وخصومة ومطالبة بالحقوق وإصرارا على الحرية والجلاء الكامل وتصميما على الجلاء قبل المفاوضة ، وقد استطاع بهذه الطبقة الجديدة أن يضرب الأمة بعضها ببعض فيمزقها شيعا وأحزاباً وجماعات ، وأن ينصب لها هذا المسرح العجيب بتصريح ٢٨ فبراير فيصبح لنا دستور وبرلمان باسم (الاستقلال التام !) ، ثم يتقاتل الزعماء على كراسى الحكم وكراسى البرلمان وترجىء التحفظات وتظل مصر هكذا فى أتون متقد وانقلابات متتالية ومن ثم انقلبت القضية الوطنية ، قضية الحرية من ميدان الجهاد والكفاح والنضال والثورة والايمان بالحقوق إلى ميدان السياسة ومناوراتها وأساليبها وما وراءها من مداورة ودس وخصومة وانتقام وإيثار للفردية الشخصية عن حقوق الوطن وكرامته وعزته إلى أن ينسلخ الشباب من الحزبية ويكفر بالزعماء ويضرب صفحا عن مناوراتهم فى ٢٢ مارس ١٩٤٦ فينادى بسقوط الحزبية والجلاء الناجز ووحدة وادى النيل وتبدء مصر فجراً جديدا من الحياة

ونحن هنا نريد أن نصور هذه الحياة ونرسم هذه القضية ونرجىء قضية الأحزاب والزعماء فى الحكم وخارج الحكم إلى الرسالة المقبلة

والله نسأل أن يجعل ذلك خالصاً لوجهه لا نريد به طعنا ولا تجريحاً ولا نبغى به غرضا إلا أن نجلى هذه الحقائق التى ظلت حبيسة حينا من الزمن بين يدى شبابنا ليفهمها صريحة واضحة .

أنور الجندى

بين وطنية الجهاد .. ومناورات السياسة

باسمك اللهم نبدأ هذه الحلقة الثانية من حلقات القضية الوطنية لنكمل بها استعراض المرحلة الثانية فى قضية هذا الوطن العزيز الغالى ، هذا الوطن الذى مايزال يروى ثراه بدماء الشهداء الأبرار الأطهار من أبنائه فى سبيل العزة والحريه والسيادة ، رغبة فى الوصول إلى الحقوق المغتصبة التى لن تضيع مادامت ترف حولها هذه القلوب وتؤازرها هذه النفوس وتظاهرها هذه الأرواح

القلوب المؤمنة والنفوس الطاهرة والأرواح المخلصة التى تؤمن بالفداء وتثق بالجهاد ولا تقف عن البذل ماوسعها البذل فى ساح الشهداء ، فاللهم اكتب لهذا الوطن حريته الكاملة وحقوقه الثابتة وأيد العاملين فيه واجعل الدائرة على الظالمين الغاصبين ، والمستعمرين المحتلين . واجعلها نارا حامية على الانجليز ومن والاهم ومن ناصرهم ومن رضى بهم أو لهم ، وخذهم بيأسك الشديد المتين أخذ عزيز مقتدر ودمر سلطانهم وهدم بنيانهم واجعل الهزيمة عليهم فى البر والبحر والجو صارخة تامة إنك على ماتشاء قدير

أما هذه الحلقة فبدأها ثورسنة ١٩١٩ ، هذه الثورة الكريمه المباركة التى قادها الشعب ، ودبرها ونظمها ، وحررها من كل هوى أو غرض ، وسار بها يحدوها الإيمان ويحف بها الصدق وتدفع اليها نفوس آمنت بحقوقها فقامت تعلن عنها وتشهد الدنيا جميعا على أنها لا تقبل الضيم ولا ترضاه ولا تستكين إلى الذل بل تأباه

وقد حطمت الأمة القيود ، ولم تثنها عن عزمها ضربات المدافع والرصاص وألوان الاعتداء من الجيوش الانجليزية أو المصرية ، بل تلقت هذه الطعنات فى الصدور لا فى الظهور وقدمت شهدائها الأبرار الطاهرين على مذبح الحرية حتى هزت العالم وأصبحت حديث الصحف والبرق فى كل مكان ، وشعرت انجلترا الظالمة الغاصبة ، إنها إزاء شعب قوى فتى ، لا يمكن أن يسام أو يذل أو يرضح

أو تستعبد وكانت نتائج هذه الثورة القوية حتما هى الحرية الكاملة المؤكدة ، والجلاء الناجز بدون قيد ولا شرط ووحدة وادى النيل من منبعة إلى مصبه فهكذا قامت الأمة تنادى ولكن الأسف يحز الفؤاد ، والحزن يقطع نياط القلب ، والأسى يملأ الجوانح حين نرى أن هذه الثورة قد فشلت فى مهدها ، وإن انجلترا استطاعت أن تخرج من بين هذا الشعب الباسل الأبى طائفة ، لم يكن لها ماض فى الجهاد ، ولا تاريخ فى الوطنية ولا أثر فى الكفاح فتنتخب منها ممثلين لهذا الشعب تفرضهم فرضا ، وتسوق هذا الشعب سوقا ، للهتاف لهم والنداء بهم والجرى وراءهم ، حين تهمل عن غرض مبيت مدفون ، أصحاب النهضة وقادة الفكرة ، هؤلاء الذين ألهبوا الشعور ، وأيقظوا النفوس وعملوا لهذا اليوم منذ قام مناديهم الشاب البطل ، مصطفى كامل ثم خلفه محمد فريد والفئة المؤمنة التى معه .

لا مفاوضة إلا بعد الجلاء

أما هذا الفريق الجديد فقد كان فريقا نشأ فى مدارس الحماية وترعرع فى معاهد الاحتلال ودرج فى كليات الاستعمار وآمن بالتفاهم والمجاملة واللين ورضى من الانجليز بالمفاوضة والمباحثة والمساومة على حقوق الوطن الواضحة فرضى به الانجليز وقربوه وأيدوه ، وعرفوا أنه طويل العمر وإن هذا اللون الجديد من الحياة السياسية فى مصر سيجعل للاحتلال أمداً واسعاً وعمرا ممتداً وإن لهذا التفاهم أساليبه وأوقاته ، ومناوراته ومزالقه ، ومده وجزره

والعجيب أن هؤلاء الزعماء كانوا من أعضاء حزب الأمة الذى صنعه كرومر يوم اشتد ساعد الحزب الوطنى ، والعجيب أيضا أن من هؤلاء الزعماء من اشترك فى وزارات الاحتلال التى مزقت أديم الكرامة المصرية أربا وقدمت المجاهدين إلى المحاكمة .

والغريب أن هؤلاء الزعمـــاء كانوا يعلمون أن الشعب كله ينادى بالحرية والجلاء فسخروا من هذا الشعب وضللوه وعملوا على التفاهم والمساومة فى الحقوق الواضحة الظاهرة الجلية التى ليست فى حاجة إلى إبانة أو تفاهم .

وأغرب من هذا أنهم جاءوا وقد أظلتهم ثورة عنيفة قوية ، شديدة الأوار وأن لهذة الثورة نتيجة وأن لهم منها فرصة سانحة لا يمكن أن تمر على أمة دون أن تحقق ماتريده كاملا غير منقوص ولكن العجيب الغريب أن رغما ثناقتلوا هذه الثورة فى مهدها وساروا مع المستعمر الغاصب ولقوة فى وسط الطريق وقبلوا منه العروض ، وقدموا له عروضا فيها مساومة على الجلاء الكامل والوحدة الكاملة وقطعوا مسألة السودان وأجلوها . . .

ورضوا بوضع قوات(١) عند قناة السويس وقبلوا تقديم جيوش فى حالة اشتراك انجلترا فى حرب مع غيرها وقبلوا أن يجعلوا القضية المصرية قاصرة على انجلترا وحدها ، وأن يكون أمر النضال فى سبيل حرية مصر لا يعدو التفاهم مع هذه الدولة ، ولا يعلن للدنيا فى المجامع والمؤتمرات الدولية كما كان يفعل مصطفى وفريد فضيقوا نطاقها واستبدلوا الوطنية والجهاد ووسائل النضال والكفاح التى لا غنى عنها للشعوب المؤمنة بحقوقها ، المدافعة عن أوطانها ، بالسياسة ومناوراتها والمفاوضات وأساليبها وتقديم مشاريع المعاهدات وقبول المحاورات مع أساتذة الاستعمار ودهاة الاحتلال ، هؤلاء الذين برعوا فى تقديم ألفاظ لامعة عجيبة مطاطة تحمل ألف معنى وتدس ألف سم فى تعبيرها البراق الجميل وإن كانت الأمة قد وقفت وقفتها الوطنية التالية للثورة باقامة الحصار الكامل على الوزراء برفض قبول الحكم وقتا طويلا . . ثم مقاطعة لجنة ملنر ومشروعه . .

إلا أن الانجليز استطاعوا أن يلقموا هذا البلد تصريحا من جانب واحد هو تصريح ٢٨ فبراير المشئوم ، هذا التصريح الذى أعلن استقلال مصر ، هذا الاستقلال المزيف المكذوب الذى لم يكن إلا كلمات تقال وألفاظ تعلن أما الحقائق الثابتة فانه مكن للاحتلال تمكينا وركز قواعد الاستعمار تركيزاً ، وجعل الأمر مفهوما فى ظاهرة أنه الاستقلال والوزارة والبرلمان والدستور.. ومن خلف الستار وضع يده على كل شيء ، وصرف الأمور كما أراد وفرض قصر الدوبارة سلطانه فى الوزراء والحكام وأصبح له القدرة الكاملة كما كان من قبل وأشد فى عزلهم وتعيينهم . وبقى له حق أنذارهم وتوجيههم . . .

(١) التصريحات المخزية التى صرح بها سعد زغلول للمندوب الانجليزى يوم (عيد الجهاد ١٣ نوفمبر ١٩١٨ ! ! !)

وقد استدعى هذا الاستقلال العجيب قيام حياة نيابية فى مصر على أساس دستور وبرلمان .. . واستدعى (١) وجود البرلمان والدستور أن تكون فى البلد أحزاب تختلف وتتعارض فانشىء حزب الأحرار الدستوريين قبل صدور الدستور من طائفة من السابقين فى حزب الوفد .

ومن الأخطاء البالغة الضخمة أن زعمائنا وشعبنا قبل هذا الوضع الجديد مع قيام الاحتلال ومع وجود دار المندوب الانجليزى ، ومع وجود جيش الاحتلال فى كل مكان .

ومن ثم برزت هذه الأسماء من الزعماء الذين آمنوا بمبدأ التفاهم مع الانجليز والمفاوضة بل والمحالفة ، هؤلاء الذين اعتقدوا أن هذا هو الطريق الوحيد لهذا الوطن ولا طريق غيره وخدعوا أنفسهم عن تاريخ الأمم المجاهدة التى لم تنل واحدة منها حقوقها أبداً على موائد المفاوضات ولا بالمعاهدات .

وقد احتفظ الانجليز فى تصريحهم المشئوم لأنفسهم حق السيطرة بمسائل أربعة هى قوائم الاستقلال وقواعد الحرية ، إلى مفاوضات قادمة . .

وكان هذا الحكم فى عرف السياسة الانجليزية ما أسموه بالحكم الذاتى ، هذا الوضع الجديد الغريب ، من المناورات الانجليزية الاستعمارية ، أن يتسم الوطن باسم الاستقلال وأن يكون به دستور وبرلمان وانتخابات وأحزاب ثم يظل الاحتلال قائما والاستعمار جاثما ، ولا يمكن بعد ذلك لداع أن يدعو ولا لمتكلم أن يتكلم بكلمة الحرية أو النضال أو الجهاد . .

وبعد أن كانت جيوش الانجليز هى التى تضرب المصريين المدافعين عن وطنهم ، المعلنين لشعورهم ، الصائحين فى وجه الاستعباد والاحتلال ، أصبحت الحكومات القائمة ، والوزارات التوالية ، هى التى تكبت هذا الشعور ، وتحارب هذه الصيحة ، وتعتقد أن كل مظاهرة مؤامرة لقلبها ، وأن كل نداء بالجهاد والنضال أو الكفاح فى سبيل الحقوق هو إخلال بالأمن العام .

ذلك لأن وزرائنا وزعمائنا الجدد يعلمون أن رضاء قصر الدوبارة عنهم .

---

(١) هذا الاستدعاء فى عرف الإنجليز ، أما فى مقاييس التشريع الاسلامى فان الأمة كلها تتوحد على الهدف ويجوزلها الاختلاف فى فروع المسائل وتقوم فيها المعارضة النزيهة الشريفة

هو كل شيء وأن غضب قصر الدوبارة عليهم هو كل شيء أيضا وأن فى هذا الغضب سلب هذه السيادة ولهذا السلطان ، سلطان كرسى الحكم ، وما وراءه من سلطان وسطوه ، وما حوله من بهرج وزخرف .

ومن ثم توالت الأحزاب وتمزقت الأحزاب إلى أحزاب وانقسمت الأمة وراء هذه الأحزاب إلى فرق تتقاتل قتالا عنيفاً فى أيام الانتخابات حتى يقتل الأخ أخاه وينقسم البلد الواحد والبيت الواحد ، وتسيل الدماء ، ذلك لأن سلطانا جديداً يوشك أن يغير سلطانا قديما ، وأن وزارة جديدة وحزبا جديداً قد انتصر وساد ، وقد أخذ يرفع أنصاره إلى عليا الأماكن ويخفض أعدائه إلى السجون والمعتقلات . . .

وأصبحت الأحزاب الكثيرة العديدة لا تعمل شيئا ، إلا أنها تسعى إلى الحكم وتعمل كل مافى وسعها عمله لقلب الوزارة القائمة بالادعاء وبالباطل وبالحق وبالشبهة وبقلب الأوضاع ، وبتسفيه المشاريع والأعمال وبكل وسيلة شريفة أو غير شريفة حتى إذا سقطت الوزارة وحلت هى مكانها تمسكت بالحكم ما أمكن التمسك به ، وقبلته واستمرت فيه ، وحاولت أن تقمع كل حركة وكل ثورة وكل بارقة حتى لا يكون ذلك وسيلة إلى هز عرشها وسقوطها .

والزعماء والوزراء ومن بيدهم مقاليد الأمور فى هذه السنين المتوالية والشهور المتتالية يحاولون أن يكونوا سلطانهم ويمكنوا لأنفسهم ولأنصارهم ولأقاربهم وتضيع مع هذا حقوق العاملين ، وجهود المخلصين الذين لا جاه لهم ولا وساطه

وقضية الوطن العزيزة التى هى العمل الأول لهؤلاء جميعاً ، والهدف الأول لهؤلاء جميعا ، لا تلقى خلال هذه الظروف المتقلبة والأحزاب الحاكمة والمنصرفة عن الحكم إلا قدراً قليلا من العناية ، قد يكون هذا القدر فى الذهاب إلى لندن والمفاوضة على مشروع معاهدة جديدة ، ثم سقوط لهذه الوزارة ثم إجراء انتخابات جديدة ، ثم قيام لوزارة أخرى وبرلمان آخر ثم مفاوضة أخرى وهكذا دواليك .

والزعماء فى خلال هذه الفترة متنابذون متناكرون والصحف فى خلال هذه

الأوقات صاخبة هائجة بالقذف والشتم والسباب واستعمال الألفاظ العجيبة الغريبة ، والاتهامات المتوالية والتحقيقات المستمرة ، وهى بين إغلاق وإنشاء ، وسجن لمحرريها وإفراج .

وتتسع شقة الخلاف بين هؤلاء الزعماء وتتمزق الأحزاب إلى أحزاب وكل حزب من هؤلاء لا يزيد عن أنه هو فرد من أفراد حزب آخر انفصل عنه وجمع اليه جماعة من أنصاره .

والانجليز من وراء هذا المسرح العجيب ، مسرح الوزارات المتغايرة ، والحكومات المتعاقبة ، والبرلمانات المتوالية ، والمعاهدات المتشابهة المختلفة ، وهذا المد والجزر بين هذه المعسكرات وهذه الصحف ، وهذه الصيحات ، يضحكون ويقهقهون ، فرحين جزلين ، لأنهم نصبوا لمصر مسرحاً عجيباً غريباً ، وأوجدوا لها ممثلين مايزالون يظهرون ويستترون ، وما تزال يد قصر الدوبارة تحركهم وتوقفهم ، وترضى عنهم فينعموا بجلال هذا الكرسى وجماله ، وينتصرون فى الانتخابات فيصبح أنصارهم أعضاء البرلمان فلا يقفون فى وجههم إذا قطعوا أمراً ولا يعارضونهم إذا أبرموا مشروعا ، وهم فى هذه الآونة يجيبون طلبات هؤلاء النواب لأنهم هم الذين أيدوهم فى الأقاليم ، وهم أيضا يجيبون طلبات الانجليز لأنهم هم الذين قدموهم إلى الحكم وأذاقوهم هذا النعيم ، وما يزال هؤلاء يرجون لعهدهم أن يطول ولدولتهم أن تعمر وما يزال خصومهم من ورائهم يهدمون بقاياتهم ويعملون لسقوطهم ويتقربون إلى قصر الدوباره حتى يقع الخلاف فى أمر أو تقع الأزمة فى شأن أو يقف الشعب وقفة حازمة أزاء تصرف خاطىء ، فاذا بالغضب الانجليزى ينزع هؤلاء من أبراجهم فيقذف بهم إلى الطرقات ويقدم فريقا آخر فينال العزة والسؤدد والسلطان فيفعل مايشاء فى خصومه من تشريد وسجن وتعذيب واضطهاد .

وهكذا ضرب المصرى المصرى ، واضطهد المصرى المصرى ، وحارب المصرى المصرى ، وفى هذا الاضطهاد والحرب اضطهاد للقضية وحرب للحرية وقتل للعزة وموت للكرامة .

وبذلك انتقلت القضية الوطنية الحارة الدامية التي ألهبت الدنيا ورجت العالمين فى ثورة ١٩١٩ إلى هذا اللون العجيب الساحر من التناحر على الحكم والتقاتل على الرئاسة والتنازع على الجاه وانتقلت الوطنية المصرية من الجهاد والنضال والكفاح والثورة إلى هذه المناورات والمداورات والمساومات حول الحقوق الواضحة .

واعتزل هؤلاء الزعماء الشعب فى أبراجهم العاجية بعد أن وصلوا إلى أقصى درجات الثراء والغنى والترف ، وضعفت نفوسهم عن الجهاد وماتت فى أرواحهم معالم الكفاح ، ونظروا إلى الشعب من عل ، لا يبالوه لا يعرفوه إلا عندما يريدون أن يصلوا على أكتافه إلى الحكم أو يوم يضحكون عليه لينالوا منه الأغلبية فى الانتخابات ، يومئذ يعدونه بالوعود البراقة ، من شق الشرع والمصارف إلى بناء المنازل النظيفة ، إلى تحسين فى أسعار القطن والقمح ، إلى تخفيض الإيجارات إلى استيراد للأقشمه والسماد إلى إصلاح لطرق وإقامة الكبارى والمحطات إلى فتح للمدارس وإنشاء المستشفيات فاذا انتهت الانتخابات وفاز النواب نكروا هؤلاء الفلاحين ، وأغلقوا أبوابهم دونهم وتركوا القرية قاعا صفصفا إلى القاهرة والاسكندرية ورأس البر .

وكذلك كان الخطأ البين فى أمرين لا يمكن أن يغيبا عن الأذهان لحظة :

(١) قبول مبدأ التفاهم والصداقة المفاوضة مع الانجليز بعد الخصومة الواضحة والتمسك التام والاصرار الكامل على الحقوق الواضحة والجلاء الناجز

(٢) قبول مبدأ الحكم والدستور والبرلمان وفى البلد جيش الاحتلال وقصر الدوبارة وسلطان الانجليز الفعلى .

وهكذا مضت الأيام وصوت أبناء مصطفى وفريد يخفت ويضعف ، وصوت أبناء سعد وثروت وعدلى يعلو وسلطانهم يستطيل ويمتد ، ذلك لأن الحزب الوطنى قطع فى الأمر فلم يقبل مساومة ولا تفاهما وقال أنه لا مفاوضة إلا بعد الجلاء ورفض أن يشترك فى الحكم والجيش المحتل مازال مقيما ، وكان نصيبه الاضطهاد والتشريد فى الوقت الذى كان الوطن فى أشد الحاجة إليه ، أما الفريق الآخر فقد رضى عنه المستعمر وسلم إليه مقاليد الحكم وظل ينقله إلى الوراء تارة وإلى الأمام

أخرى ، لأنه رباه فى حزب الأمة ، وفى وزارات الاحتلال ولأنه رضى بمبدأ التفاهم والمفاوضة .

وما زال هذا الفريق من سنة ١٩٢٢ إلى سنة ١٩٤٦ وهو يفاوض مؤمنا بالصداقة متفائلا بالتفاهم ، يقبل من الانجليز كل ما يعرضونه عليه ، كأن هذه الحقوق الواضحة لهذا الوطن الحر ، سلعة تباع وتشترى، أو ديون تسدد على أقساط .

وبعد أن كان الاحتلال الانجليزى غير شرعى ، أقدم الزعماء على توقيع (معاهدة الشرف والاستقلال) سنة ١٩٣٦ فأصبح الاحتلال شرعيا ومهروا صك العبودية كاملا ، ورضوا باتفاقية ١٨٩٩ التى أعلنت الأمة بطلانها والتى قسمت وادى النيل إلى قسمين وفرضت إدارة السودان بحكم ثنائى وإقامة علمين عليه ، ثم انتهزت انجلترا الفرصة السانحة فأخرجت المصريين منه وجردتهم من كل سلطان ، واستقلت بادارته كما تريد وخلقت فيه حزب الأمة مرة أخرى ولقنته نفس المبادىء التى علمتها لحزب الأمة هنا سنة ١٩٠٧ مصر للمصريين . السودان للسودانيين ، لا تركيا ولا انجلترا ، لا مصر ولا انجلترا ـ سودنة السودان مبدأ الاستفتاء . . . وخلقت لها أنصاراً هناك كما خلقت لها هنا أنصاراً وستسلم إليهم فى القريب مقاليد الأمور هناك لأنهم يقبلون مبدأ التفاهم معها والمطاولة وقبول الحكم الذاتى والحكم فى ظل الاحتلال .

وبذلك تقدم السودان نحو الانفصال الفعلى ولا حول ولا قوة إلا بالله . .

ثم جاءت سنة ١٩٤٦ بعد أن انتهت الحرب وأعلنت مصر صيحتها قوية مدوية وقد تبين لها أن السر كل السر فى ضياع هذا الربع قرن ، هو هذا الفريق من الزعماء الذين تحكموا فى الأمة ، وآمنوا بالصداقة ورضوا بالتحالف والمعاهدة وهذه الأحزاب المتناحرة على كراسى الحكم ، فكفروا بهؤلاء الزعماء ونادوا بسقوط الحزبية ، وآمنوا بالوحدة والتجرد وطلبوا الجلاء الكامل ووحدة الوادى . . .

ومن ذلك اليوم الكريم (٢١ مارس ١٩٤٦) بدأت مصر مرحلة جديدة ستكون خيرا مما سبقها وستكون فتحا جديداً لعهد جديد من الحرية الكاملة والعزة الثابتة .

فهذه المرحلة التى بدأت بثورة ١٩١٩ وانتهت بثورة ١٩٤٦ هى مرحلة (المناورات السياسية بين الأحزاب والحكم) وهى ما نريد أن نوجز تفصيلها فى هذا الكتاب ، نستثنى منها (الأحزاب والزعماء) لنجعل ذلك موضوع الرسائل المقبلة ، ويكفى بأن نتكلم هنا عن الثورة ، وتصريح ٢٨ فبراير ، وإنشاء الدستور والبرلمان ، والمفاوضات(١) والمعاهدات وما حول هذه الموضوعات والله المستعان ، نسأله أن يجعلها خالصة لوجهه . وأن يكشف عن الحقائق التى طالما خفيت عن الشعب ، والأسرار التى طالما غطاها ضجيج الحوادث وزخرف القول .

(١) لم يتسع القول عن المفاوضات والمعاهدات ولذلك أرجىء هذا البحث الى الكتاب القادم ، الحلقة الثالثة ، وستشمل

١ — تاريخ الوزارة في مصر منذ ١٩١٩

٢ — الوزارة المصرية بين التشكيل والاستقالة من ١٩٢١ — ١٩٤٦

٣ — سياسة التدويين الأنجليز فى مصر

٤ — على موائد المفاوضات،وذلك كله تحت عنوان (بين لاظوغلى وقصر الدوبارة)

مناورات السياسة

— تمزق الأمة وتفتل الوطنية —

أظهر وصف يوصف به هذا العهد الذى بدأ من تصريح ٢٨ فبراير إلى الآن هو (عهد المناورات السياسية والمؤامرات الحزبية .)

فقد جرت انجلترا الأمة الظالمة الآمة من الجهاد والنضال والخصومة العلنية والكفاح الدائب والايمان الصادق بالحقوق والاقتناع بالأهداف الوطنية الكاملة والحقوق المؤكدة ، من الحرية والجلاء ووحدة وادى النيل والعمل لها بكل وسيلة والوقوف فى وجه الظالم المستعمر المحتل الطاغية وقفة الرجولة والمؤاخذة والتصميم والمعارضة الدائمة ـ نقلت انجلترا مصر من هذه القوة الايجابية الحيوية إلى أوضاع جديدة فيها تفاهم وصداقة وتحالف ومفاوضة وتسليم وأذعان ، وضعف عن المعارضة والخصومة وفيها مساومة على الحقوق وتسليم بطلبات الدخيل وأذعان لأمره ، وقبول لانذاراته وأوامره وتهديداته ونصائحه .

ولم نر فى هذه الفترة زعيما أضرب عن الحكم احتجاجا على تصرف جائر ، أو هدد وتوعد ، أو أنذر وصمم وهز الدنيا وأشعر الانجليز بقوته أو رجولته ولم نر فى زعماء هذه البلد فى هذا العهد ، هذه الصورة الحية القوية الدائبة فى الجهاد والتنقل والكفاح وإذاعة القضية المصرية والدعوة لها فى كل مكان كما كان يفعل مصطفى كامل ، ولم نر هذه الصورة المضطهدة المشردة التى لا يردها الاضطهاد والتشريد عن الكفاح والنضال فى سبيل حقوق هذا الوطن . والتى تعزف عن الحكم وعن المال وتفرق ما ورثت من مال ونضار وتموت على فراش الفقر والجوع والمسغبة كمحمد فريد . . بل رأينا على العكس من ذلك ، زعماء يرتفعون من الحضيض فيصبحون أغنياء أثرياء مترفين ، أصحاب قصور وضياع وشركات لهم سلطان فى كل مشروع ومصرف يجمعون هذا كله من أموال الأمة يحيون

حياة عالية فى أبراج عاجية ويعيشون حياة مترفة غالية لا يلتقون فيها بالشعب مرة واحدة ، بل ينظرون إليه من عل ، لا يؤمنون بالجهاد ولا الكفاح فى سبيل الحقوق بل تتقلص الوطنية فى أنفسهم حتى تصبح هذا الحكم ووسائل الوصول إليه ، وهذه المفاوضة على اعتبار أنها الطريق الوحيد إلى أخذ الحقوق وتحقيق الأهداف الوطنية .

وكذلك انتقلت القضية من وطنية الجهاد إلى سياسة التفاهم ومن صراحة الوطنية إلى مناورات السياسة ، ومن الثورة إلى التفاهم ، ومن الجهاد إلى المفاوضات ، ومن الخصومة إلى الصداقة ، ومن الكفاح إلى التحالف ومن النضال إلى المساومة

وأصبحت القضية سلسلة من مناورات السياسة ومؤامرات الأحزاب ومساومات المفاوضة يحيط بها لون الحقد بغيض ، ومن الخصومة عميق ، ومن الفرقة أسيف وبعد أن كان الشعب يقف أمام الانجليز موقف الخصومة ، احتجب الانجليز وراء الزعماء ووجهوهم إلى مايريدون ، فخاصم الزعماء الشعب وحطموا جهاده ، وقتلوا حماسه وضربوه بالرصاص فى الميادين باسم المحافظة على الأمن العام ، ووقف الانجليز وراء الصفوف يضحكون ويقهقهون ، هذه قوى البوليس المصرى والجيش المصرى تضرب الشعب المصرى والشباب المصرى ويفتك بعضها ببعض .

أما المفاوضات فهذا باب من الشر غريب ، فتح لنا ، كأن الجلاء والدفاع عن حدود الوطن وانضواء شمال الوادى وجنوبه تحت لواء واحد ، صفقة تباع وتشرى ، وتكون محلا للتفاهم والمساومة والمناورة ، والعجيب أن الانجليز مايزالون يعلنون استقلالنا فى الوقت الذى ما تزال قواتهم الغاصبة محتلة أرض الوطن ، محاصرة موانيه وقناته ، متحكمة فى جنوبه .

فيم نفاوض الانجليز وحقوقنا واضحة ظاهرة ! ونحن أصحاب هذا الوطن وحماته إلا أن الانجليز يصرون على أن يربطونا بهم ، والعجيب أنهم كانوا إلى ما قبل هذه الحرب يفرضون علينا معاونتهم فى حدود مصر ، أما الآن فهم يفرضون علينا أن نجند أبناءنا لتحصدهم جيوش الروس يوم يشتبك الانجليز معهم فى الأقطار المجاورة والمتاخمة .

وانتقل الأمر فى المجتمع إلى حياة فردية ، وأخلاق كلها الأنانية والشخصية والتكالب على الحياة والانطلاق وراء مغانمها المادية ، والتناحر على حطامها ، وقد كان نتيجة ذلك أن أثرى كثير من أفراد الشعب ولكن النتيجة الاجمالية العامة ، أن الأخلاق القوية التى تؤمن بالجهاد والكفاح توارت وراء هذه المعانى المادية وقنع أصحابها بأن يعيشوا فى حدود الأوضاع التجارية وحدها ، وطبيعى أن الغنى والثراء ذاته يكون دائماً مدعاة إلى الجبن والخوف ويصرف عن النضال والكفاح ويدفع إلى المسالمة والمناصرة للغاصب والصداقة معه تحت ضغط الظروف العملية ، فضلا عما حملت هذه الأوضاع الجديدة معها من صور الحياة البراقة المزخرفة التى تعج بالاثم والفحش والترف والخمر والمرأة المتبرجة . فانزلقت أقدام الشباب إلى هذا المهوى وانقادت وراء هذه الألوان فقتلت فى النفوس عزائم الجهاد الماضية ، وفترت روح الكفاح الصارمة ، ورقت حصانة النضال الطاغية وأصبحت حقوق الوطن وكرامته وعزته لوناً من ألوان الكلام المار . . .

وانشغلت الدنيا كلها بالمصالح الشخصية وسارت فى ركاب الأحزاب جرياً وراء المنافع الفردية ، وتنقلت بين هذا الحزب وذاك تبعاً لوصوله إلى الحكم ، أو انصراف الحكم عنه .

وخلقت هناك طبقة من الصعاليك والأفاقين والمرتزقة ، لاهم لهم إلا الجرى فى ركاب الأحزاب والزعماء يصفقون ويهللون ويهتفون ويملأون الكراسى فى الحفلات ويرابطون على المحطات ، وينتظرون فى طريق الركب السائر بين بيت الزعيم وبين لاظوغلى . . . وفى طريق المساجد خارج الحكم ، وينتفع بهذه الطبقة فى الانتخابات للتصفيق والتهليل والتصويت عشرات المرات بعشرات الأسماء لإنجاح النائب المختار . . .

واصطنع الزعماء الطلبة فى المدارس والجامعات وقربوهم واستعانوا بهم على على إســقاط الوزارات وتشكيل الوزارات وإثارة الشغب والاضراب والمظاهرات ، حتى أصبح للطلبة سلطانا على الأساتذة ومطالب فى الإمتحانات والبرامج والدرجات . . .

واستعانت الشركات بالزعماء ووضعتهم فى صفوف مجالس إدارتها وفرضت لهم الرواتب الضخمة ليكونوا لها أنصارا فى أيام الحكم واستفادت الشركات من وراء هذه المناورات امتيازات ضخمة وسلطانا على أصحاب البلاد وعلى الشعب بتأييد الحكام والزعماء.

وحكم قصر الدوبارة من وراء ستار (لاظوغلى) وانقادالوزراء والحكام له انقياداً عجيبا وكانوا لا يتوانون لحظة عن أمره وإشارته ولايحاولون مطلقا مخاصمته ومعارضته لأنه هو الذى إذا رضى اقتربوا من سلطان الوزارة وإذا غضب أبعدوا.

واستفحلت الحزبية فى مصر بعد تبلور الوفد المصرى الذى شكل (للتفاهم!) مع الانجليز فى (حل) القضية المصرية إلى حزبين أحدهم حزب الوفد والآخر حزب الأحرار ثم تفشت روح الخلاف والخداع والخصومة والنفعية والفردية فانفصل فريق أثر فريق كل منهما يدعو لنفسه باسم حزب جديد حتى غصت البلد بالأحزاب، فهل أفادت هذه الأحزاب مصر شيئا، إلا أنها مزقت الشعب وفرقته وملأت قلبه خصومة وعناداً، أعدته بالتدريب العملى على السباب والحقد والخصومة والعداء والاتهام بالحق أو بالباطل وتسفيه أعمال الخصم سواء كانت خاطئة أم سليمة، ضارة أم نافعة، وخلقت فيه روحا من النفعية، بناصر الشعب النائب حتى ينجح لتقضى مصالحهم، ويناصر النواب الحزب ليفوز بالحكم لينالوا مآربهم، وهبطت الآمال العليا، والمطامع العليا، والمطالب العليا، من سماء المجد والجهاد والبراءة والطهارة والتجرد إلى حضيض المصلحة والمنفعة والغرض الأسيف الضائع...

وبذلك ذلت الأخلاق، وأصبحت المعاملات كلها تتسم بلون عجيب من النفاق والمغالطة والمساومة والتضليل والغش والخداع، وهذه هى نفس الألوان التى تسممت بها أجواء السياسة والمجتمع والحياة المصرية جميعا

((١) وانصرف (الزعماء) عن تربية الشعب وإعداده الاعداد الروحى

---

(١) لزعيم إسلامى كبير (الاخوان ١٤ أكتوبر سنة ١٩٤٦)

والعمل إلى التشكيلات السياسية الصورية التى تجهز للنجاح فى الانتخابات والظفر بكراسى البرلمان من وراء ذلك الحكم طبعا ، واستتبع ذلك أن ينصرف الناس عن المعانى الوطنية العليا العامة إلى المعانى الحزبية الشخصية الخاصة ، وأن تكون بضاعة السياسيين هذه المهاترات التى لا أول لها ولا آخر ، ولا تتفق مع دين أو خلق ، ولا تفيد قضية ولا وطنا ، وتكررت كلمات الصداقة والمحالفة والمصالح المشتركة والتعاون مع الحليفتين إلى آخر هذه العبارات ، عبارات المجاملة والرياء التى قتلت الوطنية وخدعت الشعب عن الحق ، وصرفته عن الاعداد والاستعداد ، وكانت تلك نقطة التحول فى السياسة المصرية)

* * *

وبذلك هربت مصر من ميادين العمل الجدى إلى الألفاظ المعسولة والأقوال التافهة الفارغة واقتنعت بأن المفاوضات والمظاهرات والمقالات هى أبواب الجهاد فى سبيل الحرية .

وانتقلت مصر (بفضل) زعمائها من الخصومة العلنية والكفاح المنظم والعداء الواضح للانجليز إلى سياسة مراوغة باسم الصداقة والتحالف والود والتفاهم ، وسميت هذه الخطة الجديدة التى سنها زعماء ما بعد ثورة ١٩١٩ من أول سعد زغلول وعدلى وثروت إلى اليوم باسم اللباقة السياسية والكياسة الدبلوماسية وهى صورة من صور الخنوع والخضوع للغاصب كلها مناورات ومداورات ومؤامرات ومهاترات ، تحمل فى الظاهر صورة النضال مغالطة لهذا الشعب وتضليلا له .

وقد كان لتكرار دعوى التحالف والصداقة مع (الحليفة !) وسيلة نفسانية استعمارية عجيبة يراد بها أن تموت فى النفوس معانى الخصومة والكراهة والعداء لانجلترا ! ، ومداراة لظلمها وكيدها ودسها وتمزيقها الأمة ، وسيطرتها وإجرامها ، وفرض أوضاعها وطغياتها على مصر فأصبح فى النفوس شبه سلام أو أمان . وأخذت الناس غمرات الأعمال ، وتقلبات الحوادث عن اليقظة التامة للاتجاه المنحدر إلى الطريق المظلم الأسود . .

وأصبحت كلمات الزعماء للشعب كلمات ميتة فاترة مخادعة ، لاحقائق وراءها ، ولا نتائج عملية ، وتبلورت هذه الأوضاع كلها والعلاقة بين الزعماء والعلاقة بين الزعماء والانجليز والعلاقة بينهما وبين الشعب ، هى السعى إلى الحكم ، والاستقرار فيه ، ومناوئة الحاكمين ومحاولة إسقاطهم . . والأمة المسكينة تستغل لهذا وتقاد إليه . .

وأصبحت كلمة الجهاد لونا من الشغب ، وهانت هوانا عجيبا فى عهد قريب عن أيام الثورة والجهاد حتى يقول سعد زغلول فى البرلمان سنة ١٩٢٤ رداً على الأستاذ عبد الرحمن الرافعى ، هل عندكم تجريده ؟ وفى هذا معنى التسليم والاستسلام المطلق للانجليز .

(كانت(١) الأمة شعبا لازعماء له ، ولقد كان جاداً محقا يوم انطلقت حناجر الصغار والكبار منه ، الاستقلال التام أو الموت الزؤام . ولكنه نكب بزعماء ورؤساء وكبراء نشأوا فى أحضان الاستعمار وشربوا من معين الغاصبين ودرجوا على أساليبهم ، وعجبوا بصداقتهم وأحسنوا الظن بهم ، وتبوأوا المناصب الحكوميه واحتلوا مراكز القيادة الشعبية وأداروا الأمور بهذه العقول المقلدة والنفوس الخامدة والقواعد الفاسدة فكانوا نكبة هذا الشعب والحاجز الحصين بينه وبين حقوقه الوطنية ومطالبه القومية)

وبسلطان هؤلاء المصريين كبتت مشاعر المصريين ، وصودرت حرياتهم وقضت اجتماعاتهم وحطمت حركاتهم الوطنية المخلصة ، فكان هؤلاء الزعماء صنائع الاحتلال ، صنائع الانجليز ، وأخلص أعوانه ، ويده الباطشة .

وكذلك اتضح مبلغ الخطأ البالغ فى قبول « الاستقلال » فى ظل هـذا الاحتلال وهذه الأهداف الاستعمارية الانجليزية المركزة ، وتعذر بذلك قيام حكومة صالحة فى ظل هذا الوضع ، وكذلك تعذر أن تأخذ الحكومة حقها الكامل فى تنفيذ دستورها وانتخاب برلمانها واستكمال نواحى الحرية والسلامة والسعادة فى المجتمع أو ميادين الاقتصاد أو الدفاع أو التعليم فقد لونه الاستعمار بلونه وجعله صورة براقة ليس وراءها معنى من معانى القوة أو الكمال أو الحيوية .

(١) داعيه كبير

ولكن . . .

الأمل قد تفتحت براعمه ، والقلوب قد عمرتها روح جديدة شذبة من الوعى الاسلامى الكامل فاستيقظت وحييت وأقبلت تسعى إلى مجدها وإلى حريتها وإلى عزتها .

ونفضت من فوق رأسها تراب هذا الربع قرن من السنين العجاف التى خدرفيها الغاصب عقول الشعب وقلوب الامة ، وخلق لنفسه هذه الطبقة من الزعماء والكبراء وذوى الرأى ، واصطفاهم واصطنعهم وأسبغ عليهم النعم والحلل والألقاب وأقبلت عليهم الدنيا بثرائها وأمجادها الفردية الشخصية فرفعتهم إلى أبراج عاجية عالية لايرون منها مايقاسى هذا الشعب من فقر وما يحسن من شغب وما يقاسى من تضور وجوع .

وقامت فى الأمة هيئات ناهضة مخلصة تدعو إلى العمل المنتج الصامت المركز ، بأسلوب الوطنى المتجرد لا بطريقة السياسى المحترف ، (يعملون لإصلاح الحكم لا للحكم ، ولمقاومة المستعمر للحصول على الحرية وتركيز منهاج ودعوة لا لتمجيد شخص أو حزب أو هيئة ، يعملون للوحدة وضم الجهود وتقدير الأعمال ، لا لتمزيق الأمة وتحطيم كل عمل من الخصم كما تفعل الأحزاب)

نعم استفاقت الأمة بعد أن خدعت هذا الوقت الطويل ، بالألفاظ الرنانة والكلمات البراقة وهتفت وصفقت وراء الزعماء وقد عقدوا فيهم الأمل فخيبوه ووثقوا بأنهم سيعملون لتحقيق آمال الأمة فضاعت الثقة .

وقامت فى الأمة من جديد روح حية قوية ، نيره مستنيرة ، مضيئة مشتعلة بالنور الربانى ، وبالايمان الإلهى ، وبالتقدير الصحيح ، والوزن الصادق للأمور نعم قامت من جديد (دولة المساجد) ونبتت فى القلوب (وطنية الربانيين)

ونشأت هذه الطبقة الجديدة التى انبثت فى الشعب كله من النماذج العالية الصادقة ، هذه النماذج التى ليست كنماذج سنة ١٩١٩ بل هى منها فى الوطنية والحماسة والقوة وتزيد عنها فى الايمان والاقتناع والتركيز ، وتمتاز عنها بالاخلاص

لله وحده ، وحب الفداء والتضحية ، ولن تقع هذه الطبقة الجديدة ، ولا هذه الدولة الجديدة فيما وقع فيما سابقها من التسليم للزعماء والايمان بهم ، بل ستقود هي الوطن قيادة شعبية صحيحة ، إلى أهدافه الكاملة ، وقد أضافت هذه الدولة الجديدة إلى الوعي الوطني الذي استفاق سنة ١٩١٩ وعيا إسلاميا لتكمل الرسالة وتتمم الحلقة .

وقد آمنت هذه الطبقة الجديدة بالحقائق صريحة لا التواء فيها ولا إعوجاج فهي لا تؤمن بصداقة الانجليز إلا إذا وقف الانجليز من حقوقها الكاملة وقفة الاحترام ، أما ماداموا يناوئوننا ويتعسفون معنا فلا تؤمن بغير خصومتهم ونضالهم وجهادهم بكل أسلوب ، كما تكفر هذه الطبقة بالمناورات السياسية والمساومات والمداورات في المفاوضات والمحالفات وتعود مرة أخرى إلى صراحة الوطنية وإلى الجهاد والنضال في تدرج منظم ، وتبدأ بالجهاد السلبي ثم تثني بالجهاد الايجابي .

والعجيب أن روح الوطنية التي غلفت بالألوان الجديدة ، البراقة المزخرفة من النفعية والمادة والمرأة والخمر ، قد نفضت عنها هذا كله وانطلقت مؤمنة صادقة عاملة ، وكفرت هذه الطبقة بزعامة هؤلاء الزعماء ، وكفرت بالحزبية وانصرفت عنهم وعنها إلى جهاد شعبي صادق يكون فيه هؤلاء الزعماء منقادين للشعب لاقادة له ، ويكونون في آخر الصفوف لافي أولها ولا ينسون لهم أنهم هم الذين قتلوا الشعور الوطني خلال هذا الربع قرن ، وأنهم كانوا دائما (يعملون على كتب مشاعره وقتل عواطفه وكبح إدارته وخنق حريته باسم حماية القانون تارة وبحجة المحافظة على الأمن والنظام تارة أخرى) .

وقد استفحل الشعور الوطني وحي واستيقظ يقظة عارمة صادقة ومهما حاول الحكام ومن ورائهم من الغاصبين الضغط على هذا الشعور فانه فوار ومن المصلحة التنفيس عنه (فلم يعد الشعور الوطني مقصوراً على طبقة دون طبقة أو مختصا بجماعة دون جماعة فالطلاب والعمال والموظفون وغير الموظفين سواء في هذا الشعور بل إني أذكر لهم عن يقين أن هذا الشعور العام قد جرف

ضباط الجيش وجنوده وضباط البوليس ورجاله ولم تعد تستطيع قوة بعد ذلك أن تكسر حدته أو تطفىء جذوته(١)) .

(إلا أن هذا الشعور الآن من نوع جديد ولون جديد فهو شعور امتزج به حب الوطن برسالة الاسلام ، والجهاد فى سبيل البلاد بالجهاد فى سبيل الاعتقاد وأخلص أهله النية لله باذلين فادين مضحين ، وقد انصهرت النفوس وأذابت فيها حرارة الايمان كل معانى الوصوليين والنفعيين وأصبح الواحد من هؤلاء المواطنين الآن يستعذب الموت ويتشهاه ، كما يستعذب أهل الحياة الدنيا طعم الحياة وستكشف الحوادث والأيام عن الفارق البعيد بين احلاس الأندية وعباد المساجد وبين وطنية السياسيين ووطنية الربانيين ولن يقف شىء فى سبيل العاملين والمجاهدين) .

ومعنى هذا كله وخلاصته أن هذا الربع قرن الذى ضاع بين هذه المناورات السياسية بين الزعماء والأحزاب والانجليز ستكون له نتيجة ايجابية حاسمة هى أن الأمة ستقف من حقوقها وقفة النضال والكفاح والجهاد والصبر على الشدائد والبأساء وهى تعلم أن الانجليز والحكومات والأحزاب ستحارب العاملين وستتكاتف لتقف منهم وقفة الخصومة . . .

وسيطول النضال وسيشتد ولكن الغلبة للعاملين المخلصين والنصر لهم .

سيكون منذ اليوم عداء صريح ، وخصومة معلنة ، ومقاومة سلبية ، واعداد كامل وجهاد له تبعاته فى كل ميادين الاقتصاد والثقافة والتربية والوطنية

ولن تطمئن جنوب المجاهدين الا يوم تتحقق الحرية الكاملة وفى ساحات الاستشهاد متسع للجميع .

---

(١) فضيلة الأستاذ حسن البنا — الاخوان — ٢٢ أكتوبر ١٩٤٦ .

الحرب الكبرى سنة ١٩١٤ - ١٩١٨ واعلان الحماية

فى ٤ - ٨ - ١٩١٤ أعلنت انجلترا الحرب ، و أصدرت قراراً تضع فيه الموانى المصرية والأراضى المصرية تحت تصرفها جاء فيه .

(القوات البحرية والحربية التابعة (لانجلترا) يجوز لها أن تباشر جميع حقوق الحرب فى الموانى المصرية وفى أرض القطر المصرى وكل ما يجرى الاستحواز عليه فى الموانى من سفن حربية ومراكب تجارية أو بضائع يجوز إحالة النظر فيه إلى محاكم الغنائم الانجليزية) .

ومن ذلك اليوم أصبحت مصر معسكرا للجيوش الهندية التى بدأت ترد إلى مصر ، وأعلنت الرقابة على البرقيات وأعلن (الموراتوريوم) لاضطراب الحالة الاقتصادية واشتدت الرقابة على الصحف وفتشت إداراتها ثم أعلنت الأحكام العرفية فى ٢ - ١١ - ٩١٤ ومما ذكرت انجلترا فى بيانها (أن السلطة التى تعمل تحت إشرافى بمعرفة الادارة العسكرية ليس الغرض منها الحلول محل الادارة الملكية بل تعتبر تكميلا لها) ثم قطعت العلاقات بين انجلترا والدولة العلية

(٢) وهكذا أخذت قيادة الجيوش الانجليزية فى مصر التى هى تتولى إصدار المنشورات وتخاطب الشعب دون حكومته المكلمة ، وفى حالة غياب الخديو فى تركيا إلى ما بعد قطع العلاقات بين انجلترا وتركيا .

وقد فصلت انجلترا هذه السلطة بخطابها فى ٩ - ١١ - ١٩١٤ إلى رئيس مجلس النظار .

قالت (وترون . . . أن السلطة فيما يتعلق بالوسائل الحربية اللازمة للدفاع عن القطر المصرى والتدابير التى يستدعيها هذا الدفاع أصبحت منحصرة فى يد القائد العام . . »

(٣) ثم ظهرت بعد ذلك نية انجلترا فى ابعاد الخديو ومدى رغبتها فى سلخ مصر عن تركيا وتغيير نظام البلاد وذلك باعلانها الحماية

(٤) فى صبيحة ١٨ - ١٢ - ١٩١٤ أعلنت الحماية على مصر بمنشور هذا بعض ماجاء به :

« يعلن ناظر الخارجية لدى حكومة .. (انجلترا) إنه بالنظر إلى حالة الحرب التى سببها عمل تركيا قد وضعت بلاد مصر تحت حماية جلالته وأصبحت من الآن فصاعدا من البلاد المشمولة بالحماية الانجليزية ؛ وبذلك قد زالت سيادة تركيا عن مصر وستتخذ حكومة جلالته كل التدابير اللازمة للدفاع عن مصر وحماية أهلها ومصالحها

(٥) ثم قفت على ذلك بخلع الخديو عباس وتولية السلطان حسين بمنشور إنجليزى أيضا

« يعلن ناظر الخارجية لدى حكومة . . .(إنجلترا) إنه بالنظر لاقدام سمو الخديو عباس حلمى باشا خديو مصر السابق على الانضمام لأعداء البلد ، قد رأت حكومة جلالته خلعه من منصب الخديوية ، وقد عرض هذا المنصب السامى مع لقب سلطان مصر على سمو الأمير حسين كامل أكبر الأمراء الموجودين من سلالة محمد على فقبله)

(٦) وفى هذا المنشور الانجليزى كثير من الأكاذيب فقد كان السبب الأول فى خلع عباس هو شعور المحتل بمدى وطنيته وتخوفهم من موقفه معهم فى إبان الحرب وقد استقدم الانجليز من الهند أغا خان زعيم الطائفة الاسماعيلية للهنود ليهددوا به فوصل فى اليوم الذى تولى فيه السلطان حسين الملك ومن الأسف الموجع أن تولية السلطان حسين ، بل تولية السلطان فؤاد كانتا بتبليغ الحاكم العسكرى الانجليزى فى مصر ؟

(٧) ومما جاء فى تبليغ السلطان حسين ما يأتى :

« لدى حكومة جلالة الملك أدلة وافرة على أن سمو عباس حلمى باشا خديو مصر السابق قد انضم انضماما قطعياً إلى أعداء جلالته منذ أول نشوب الحرب مع ألمانيا

وبذلك تكون الحقوق التى كانت لسلطان تركيا وللخديو السابق قد سقطت عنهما وآلت إلى جلالته . . ولما كان قد سبق لحكومة جلالة الملك إنها أعلنت بلسان قائد جيوش جلالته فى مصر إنها أخذت على عاتقها وحدها مسئولية الدفاع عن القطر المصرى فى الحرب الحاضرة قد أصبح من الضرورى الآن وضع شكل للحكومة التى ستحكم البلاد بعد تحريرها من حقوق السيادة وجميع الحقوق الأخرى التى كانت تدعيها الحكومة العثمانية ، فحكومة جلالة الملك تعتبر وديعة تحت يدها لسكان القطر المصرى جميع الحقوق التى آلت اليها بالصيغة المذكورة وكذلك جميع الحقوق التى استعملتها فى البلاد فى سنى الاصلاح الثلاثة الماضية

وقد رأت حكومة جلالته إن أفضل وسيلة لقيام إنجلترا بالمسئولية التى عليها نحو مصر أن تعلن الحماية إعلانا صريحا وأن تكون حكومة البلاد تحت هذه الحماية بيد أمير من أمراء العائلة الخديوية طبقا لنظام وراثى يقرر فيما بعد بناء على هذا قد كلفت حكومة جلالته الملك أن أبلغ سموكم أنه بالنظر لسن سموكم وخبرتكم قد رؤى فى سموكم أكبر الأمراء من سلالة محمد على أهلية لتقلد منصب الخديوية مع لقب سلطان مصر

(٨) والواقع أننا فى حاجة لأن نكرر ماذكرة شفيق باشا فى الحوليات من أن هذه الوديعة التى وضعتها إنجلترا تحت يدها لسكان مصر لم ترد اليهم ، وقد كانت طوال هذه السنين المطلب الوحيد والأمل الأكبر الذى يجاهد الشعب فى سبيل الحصول عليه بعد هذه التضحية البالغة فى الحرب الكبرى الأولى والثانية مع الحلفاء .

ثورة سنة ١٩١٩ وما بعدها (١)

البوادر والارهاصات

(١) المعتمد الانجليزى فى مصر هو الحاكم الفعلى للبلاد . السيطرة الانجليزية الكاملة والاستبداد بكل شئون البلاد

(٢) اعلان الحماية فى ١٨ / ١٢ / ١٩١٤ - وتبعها اعلان الأحكام العرفية ووضع الرقابة على الصحف ، واعلان قانون التجمهر فى ٨ أكتوبر سنة ٩١٤ ، هذا القانون العجيب الذى يعتبر كل اجتماع من خمسة أشخاص فى طريق ما أو فى محل عمومى تجمهراً ، يقضى بالحبس لمدة ستة أشهر

(٣) ظلت الحماية المقنعة من ١١ يوليه ١٨٨٢ - ١٨ أكتوبر سنة ١٩١٤ والحماية السافرة إلى ٢٢ فبراير ١٩٢٢

(٤) خلع الخديو عباس الثانى ، وتوليه السلطان حسين كامل فى ١٩ / ١٢ سنة ١٩١٤ بتبليغ من الحكومة الانجليزية وقد قوبل هذا التبليغ بالسخط من الشعب كله ، إذا رأى الناس أن ينتصب السلطان فى مصر قد تم بخطاب من المعتمد الانجليزى ؟

(٥) سعد زغلول أول المحتفين بأول مندوب انجليزى فى ظل الحماية (هنرى مكماهون) إذ استقبله على محطة العاصمة فى ٩ / ١ / ١٩١٥ وقال إن دلائل الخير بادية على وجهه

(٦) اتجه الوضع السياسى فى مصر إلى ترضية الناس عن كراهيتها . واشتركت حكومات الاحتلال مع دار الحماية فى تدعيم هذا الانقلاب باحاطة الوزراء بالالقاب وإغداقها على الأعيان والوجهاء والموظفين .

(٧) توالى الاضطهاد على الوطنيين ، وكانت الهيئة الوطنية العاملة هى

---

(١) استعنا فى هذا الفصل بدراسات مختلفة أهمها بحوث الأستاذ عبد الرحمن الرافعى

الحزب الوطنى الذى لاقى زعماؤه وقادته كثيرا من العنت وطوردوا طويلا وصودرت صحفهم ونفى الكثير منهم وسجن أغلبهم

(٨) أعلن طلبة الحقوق السخط على الحماية بالامتناع عن الحضور إلى المعهد يوم زيارة السلطان حسين .

(٩) عطلت الجمعية التشريعية وتدفق الجنود الانجليز على مصر وحشدت السلطة السلطة العسكرية الانجليزية العمال حتى بلغ عددهم نيفا ومليون عامل وجمع الرديف وكان حوالى ١٢ ألف مجند ، وجمعت الدواب والمؤن

(١٠) وقع الجفاء بين السلطان حسين والمندوب الانجليزى (مكماهون) فغيرته الحكومة الانجليزية بآخر (ونجت) وقد سيطر المندوب الجديد سيطرة كاملة على شئون الحكومة دون معارضة أو رقيب .

(١١) توفى السلطان حسين وولى العرش السلطان أحمد فؤاد فى ٩ / ١٠ سنة ١٩١٧ بتبليغ انجليزى أيضا وكذلك جعلت انجلترا نفسها مصدر ولاية العرش

(١٢) جاء فى خطاب السلطان إلى رشدى باشا بتأليف الوزارة (وقد تولينا بالاتفاق مع الدولة الحامية عرش السلطنة المصرية) وبهذا يعترف ولى الأمر بأن الدولة الحامية هى صاحبة الأمر فى تولى العرش فى مصر ؟

(١٣) أقرضت مصر انجلترا مبلغ ٣ ملايين جنيه ونصف ، ثم قررت إعفائها من دفعها وجعلها (منحة) إعترافا بجميلها (لأنها حمت مصر من خطر الغارات !) وهذا القرار العجيب من مجلس الوزراء يدل على مدى الحالة النفسية لرجال الحكم بالنسبة للاحتلال والحماية

الأسباب والنتائج

(١) ليس اعتقال سعد ولا يمكن أن يكون ، هو سبب الثورة ، فان سعد اعتقل فى المرة الثانية ولم تقم للافراج عنه أية ثوره ، ولا يمكن أن يعزى قيام الثورة إلى جهود زعيم أو إلى سعد نفسه فان الأحداث تفاقمت على مصر بعد ذلك فلم يستطيع سعد أن يقود الشعب مرة ؟ وإنما كانت الثورة نتيجة

الشعور الوطني اليقظ والدواعي الطبيعية التي فاضت بها النفوس فأصبحت الثورة حتما مجابا ونتيجة ضرورية

(٢) استمرت الأحكام العرفية ٤ سنوات متوالية فجمعت إلى البلاد بلاء من ثلاث ألوان (إحتلال - حماية - أحكام عرفية)

وكانت نتيجة الأحكام العرفية (١) رقابة على الصحف (٢) منع للاجتماعات (٣) اعتقالات للأحرار (٤) سجن ونفي دون تحقيق (٥) تجنيد للفلاحين والعمال (٦) جمع الأموال قسراً للصليب الأحمر الانجليزي (٧) أتاوات في شكل تبرعات تحصل بالوعيد والتهديد والضغط.

(٣) مبادىء ولسن نبهت الأذهان إلى حقوق الشعب وحريته وزادت جذوته وقدة ولهبا.

(٤) لا يمكن لمؤرخ أن ينكر جهاد (مصطفى وفريد) منذ فجر الاحتلال (١٨٩٠ — ١٩١٩) وما لقى هذين الزعيمين من اضطهاد وعنت إذ كانا في أشد أوقات الاحتلال شدة وفي أشد الأيام ظلاما، فضلا عن أن منهاجهما سياسيا كان منهاجا صادقا صارما، هو منهاج الجلاء الواضح الناجز قبل كل تفاهم ودون أن يكون مقابلة معاهدة أو محالفة. وقد أدى ذلك إلى أن ينشىء كرومر (حزب الأمة) ليكون حزبا وسطا بين الشدة واللين، أي حزب مساومة وصداقة وثقة بالانجليز، وفي حزب الأمة (مدرسة الانجليز) تربى زعماء ما بعد ثورة ١٩١٩ الذين ألفوا الأحزاب المصرية فيما بعد، هذه الأحزاب الباقية إلى اليوم والتي ما تزال بيدها مقاليد الأمور منذ سنة ١٩٢٢، أما أولئك الصادقون الصامدون الذين قطعوا الأمر ولم يقبلوا المساومة في حقوق الوطن فقد استبعدوا استبعاداً كليا عن أن يشتركوا في الأحداث الجديدة التي تلت الثورة.

هذه الأحزاب التي كانت النتيجة الطبيعية للوضع الانجليزي الجديد، هي التي تفاهمت في مشروع ملنر وقامت بالمناورات السياسية التي استهلتها باصدار تصريح ٢٨ فبراير وإعلان الاستقلال بالتحفظات ووضع الدستور وإنشاء البرلمان

والعجيب أن أى مقارنة بسيطة بين محمد فريد مثلا وبين أى زعيم من زعماء أعقاب الثورة يبين لنا مدى الفارق البعيد بين العمل للمثل الأعلى والكفاح للوطنية الصادقة، وبين التمسح بالوطنية وإدعائها، محمد فريد هذا الرجل الذى هجر وظيفته، ثم هجر المحاماة، ثم أنفق كل ما كان يملك فى سبيل قضية وطنه، ونفى وغرب، ولم يثنه ذلك عن العمل لوطنه وساومه الانجليز ليخفف من حملاته ويعود إلى وطنه فرفض بآباء وشمم، وظل مغتربا حتى اشتد عليه الداء فمات غريبا، هذا الرجل الذى ضحى ثروته كلها ورضى هذا الموقف الشريف ليس له مثال فى زعماء هذه الأيام مطلقا فقد كان غنيا فافتقر حتى أكله الداء، أما الزعماء الذين ورثوا مجد ثوره ١٩١٩ فقد اغتنوا وأثروا وأصبحوا أصحاب رؤوس الأموال الضخمة والأطيان والضياع والعمارات، لم تعرف لهم تضحية ولم يسجن منهم أحد، ولم يرفض أحد منهم منصب، ولم ينفى أحد منهم لأنه وقف وقفة مشرفة فى صالح الوطن، بل على العكس من ذلك وقدهم الترف وأعزتهم المناصب وتنازعوا فيما بينهم على هذا الميراث، ميراث الدم المسفوك فى ثورة ١٩١٩ .

ولقد أقر سعد فى ١٩ - ٩ - ١٩٢٣ بذلك راغما حيث قال (لست خالق هذه النهضة - لا أقول ذلك ولا أدعيه، بل لا اتصوره،، إنما نهضتكم قديمة تبتدىء من عهد محمد على، وللحركة العرابية فضل فيها وكذلك السيد جمال واتباعه وتلاميذه أثر كبير) وللمرحوم مصطفى كامل فضل عزيز أيضا وكذلك المرحوم محمد فريد بك، وما كان له أن يقول غير هذا، ولو قال غيره لكذبه التاريخ .

(٥) إن ما وصل اليه سعد من نفوذ كان بفضل الثورة لأن الشعب كان يعتقد أنه وضع قضيته فى الأيدى التى تدافع عنها وترعاها، هذه القضية الواضحة الصريحة التى تتلخص فى الجلاء الكامل والحرية الكاملة ووحدة وادى النيل ولكن ثقة الشعب لم تتحقق إذ تبين أن الجلاء والحرية موضع مساومة ومحل تفاهم ومفاوضة أشبه بالاستجداء .

فضلا عما قرره سعد من إبعاد مسأله السودان استبعاداً تماماً عن الحادثات ،

وما كان أغنانا عن المحادثات والمفاوضات ودم الشباب لما يجف بعد، والأمهات الثكلى مازلن ينتحبن ويلبسن السواد. والشعب مازال قويا يضطرم بالحيوية العارمة، راغبا إلى مزيد من التضحية والفداء، ولن ينسى التاريخ لسعد أبدا أنه أول من فصل مسألة السودان عن القضية فى أول محادثة مع انجلترا سنة ١٩٢٠ فأصبح هذا مبدأ خطيراً توالت آثاره السيئة ونتائجه الضارة حتى وصلت الحالة فى السودان إلى ماوصلت إليه الآن واستطاع الانجليز أن يوغروا صدور السودانين على إخوانهم أبناء الشمال ويخلقون (حزب الأمة) هناك ويدعون إلى الإنفصال والسودان للسودانين والاستفتاء.

(٦) كان من عوامل الثورة مشروع (وليم برونيت) الخاص بانشاء مجلس نواب مصرى، ومجلس شيوخ خليط من المصريين والأجانب على أن تكون الهيئة التشريعية العليا مختلطة الجلسيات وغالبها أجنبية.

(٧) هبطت أسعار القطن هبوطاً جسيما فى موسم ١٩١٤ وربط الجنيه المصرى بالجنيه الانجليزى وقررت الحكومة تخفيض مساحة زراعة القطن وزيادة مساحة زراعة الحبوب.

(٨) ايقظت الأقلام أفكار الناس وأثارت قلوبهم بالحماس والايمان بالحقوق الوطنية ودفعتهم إلى النضال الدفاع عنها وكان للخطب والقصائد والمقالات التى كتبها الأحرار من الوطنيين أكبر الأثر فى التعبير عن آمال الشعب والأمة.

(٩) الطائفة التى انبرت لإعلان الشعور المصرى كانت لاتؤمن بالخصومة لانجلترا، ولا العداء لاستعمارها البغيض ولا تنكرها للاحتلال، لأنها كانت صنعت فى بوتقته، واشتركت فى حكوماته، وعلى رأسها سعد زغلول الذى كان وزيراً فى وزارة مصطفى فهمى وبطرس غالى وهما أعدى أعداء القضية الوطنية وأصدق أصدقاء الاحتلال. وبطرس غالى هو الذى رأس محكمة دنشواى وهو الذى وقع اتفاقية ١٨٩٩ مع كرومر سراً فكانت سبة وعاراً فى جبين مصر، لأنها إعترفت لانجلترا بحقوق فى السيطرة على السودان، ومصطفى فهمى هو الذى أعان المحتلين وكان الصديق الأول لكرومر، وكان سعد صهره، وكان

لكرومر الفضل الأول فى اختيار سعد وزيراً وقد مدحهما لورد كرومر فى حفلة وداعه دون المصريين جميعا الذين رماهم بالجهل والبغاء والعمى .

أما الذين كانوا يؤمنون بالحزم فى حقوق الوطن والقطع فى مطالبه فقد استبعدوا عن هذا الميدان مع أن أرواحهم الملهبة هى التى ايقظت إيمان الشعب بحقوق وطنه فى هذه السنين العجاف والأيام السوء ، وياللأسف شقت هؤلاء فى أوروبا وعمرت بهم المعاقل والسجون ورفضت انجلترا أن تستمع لهم ، ورضيت أن تستمع لآخرين يعرفون شيئاً إسمه .

التفاهم ...

والتفاهم هنا ، وفى تقدير الوطنيين المخلصين ، معناه المساومة ، وقد كان هؤلاء ممن درجوا فى بيئة الاحتلال وفى أكناف حزب الأمة ، الحزب الذى صنعه الانجليز ليناوىء الحزب الوطنى وما دامت (القاعدة) فى هذه النهضة الجديدة التى تزعمها وادعاها سعد وثروت وعدلى وغيرهم هى التفاهم والمساومة والمحادثة والمفاوضة والأخذ والرد فى حقوق الوطن الواضحة ، فالنتائج الطبيعية معروفة ، هى أن تظل قضية الوطن على أيدى هذه المدرسة موضع تفاهم ومساومة .. وتكون النتيجة الحتمية أيضاً هى أن تقتل ربع قرن من حياة الوطن الغالية فى نضال داخلى وخصومة حزبية وتمزيق لوحدة الوطن وتفاهم ومفاوضات مع انجلترا الغاصبة الأفعوانية الأساليب ولا نصل إلى شىء ما ، إلا هذا الصك العجيب الذى فرض وجود الاحتلال الدائم والارتباط الدائم والتمزيق الدائم لوحدة وادى النيل الذى قبـــله زعماء المدرسة سنة ١٩٣٦ ووقعه آخرون منهم سنة ١٩٤٦ .

فقد كانت هذه المعاهدات محالفات عسكرية مع انجلترا . اعترفت بشرعية الاحتلال وأيدت اتفاقية ١٨٩٩ الباطلة بل وتعدتها إلى تمزيق وحدة وادى النيل بإعطاء السودان حقه فى الانفصال وتقرير المصير وتحقيق الحلم الانجليزى القديم (سودنه السودان) أى فصله عن مصر واحتلاله باسم الحكم الذاتى

ولو قامت النهضة ، نهضة الحرية ، نهضة ١٩١٩ على الأسس التى دعا إليها الشعب وعلى المطالب التى قررها وجاهد فى سبيلها وضرب لأجلها برصاص الانجليز ، وضرج الأرض بدمائه الطاهرة وهى الجلاء والوحدة والتخلص من نير الاحتلال جملة،قبل أى مفاوضة أو محالفة لتحقق للوطن ذلك كله ، ولكن ورثة مجد ثورة ١٩١٩ كانوا يؤمنون بالصداقة الانجليزية ويقبلون ما يرضى به الانجليز ، فرضوا بالمحادثات وقبلوا التفاهم على أساس الصداقة والمحالفة مع الدول العظمى كما أسموها وقتئذ .

والنتائج الطبيعية معروفة ، أنها لم تكن شيئا مطلقا مما أراده الشعب وضحى لأجله ، ولم يكن الشعب عابثا ولا خياليا حين يطلب الجلاء ، بل كان محقا ، فهو شعب ناضج قوى ، له ماضيه الناصع فى الذود عن حماه ، وفى الكفاح والفتح والغزو، وله قدرة تامة الدفاع عن عرينه وسيادة أرضه وحراسة قناته وثغوره متى تمت له الحركة والقدرة على تكوين جيشه وإعداد أسطوله .

العوامل والاسباب

(١٠) وقد بدأت هذه المسرحية الجديدة بمقابلة المندوب الانجليزى وقد كانت مقابلته جافة لهم ، وكانوا فيها مثال الضعف وقد أخطأ بعضهم إخطاء بالغة فى حق الوطن فقد كانت السمة الغالبة على هذا الحديث هى التفاهم والمساومة .

وقد سفه (ونجت) حركات وكتابات محمد فريد وأعتبرها خطأ كبيراً وقد أجابه عبد العزيز فهمى بأن حزب الأمة يدعو إلى مايدعو إليه الحزب الوطنى (ولكن بطريقة الشيوخ) وهى طريقة أخف حده وإن كان ونجت يعرف ماهو حزب الأمة ومن الذى صنعه ؟

والعجيب أن كاتبا من الكتاب أخذ يروج لحزب الأمة القديم فى طريقته من السرد التاريخى ومدح هذا الحزب بأنه أول من نادى (مصر للمصريين) واتهم الحزب الوطنى بأنه كان يمالىء الخلافة الاسلامية .والحقيقة الواضحة أن

حزب الأمة الذى نادى مصر للمصريين ، هو الآن حزب الأمة فى السودان الذى ينادى السودان للسودانيين وحزب الأشقاء والمؤتمر هو الذى ينادى بوحدة وادى النيل ؟

وفى هذا اليوم الذى جعلته الأحزاب فاتحة الجهاد ، أعطى سعد المندوب الانجليزى وعوداً بأن لا تتعامل مصر مع غير انجلترا ولا تتفاهم مع غيرها وتعطيها الضمانات الكافية فى طريق الهند وهى قناة السويس وتحالفها على غيرها . بل وتقدم لها عند الاقتضاء ما يلزم من الجنود .

أى شروط هذه وأى وعود هذه ؟ وماذا يكون الاستقلال والجلاء والحرية إذا كانت مصر تقيل هذه القيود الاستعمارية ولكن لا عجب فسعد باشا صديق الانجليز ، والمندوب الانجليزى يعلم أن هؤلاء زعماء حزب الأمة ، الذين قدمهم الاستعمار إلى الجمعية التشريعية وفرضهم عليها فرضا فانتخب سعد وكيلا لها بناء على هذا الامتياز ، ومن قبل كان هذا الامتياز نفسه سببا فى اختيار سعد المستشار وزيرا فى وزارات الاحتلال وفى أسود عهود الضغط والطغيان ومن هذا التصريح فى (١٣ / ١١ / ١٩١٨) تعرف إلى أى حد كانت الحرية الوطنية تشق طريقها فى أول خطواتها ولذلك لا تعجب حين تعلم ما صادف القضية الوطنية بعد ذلك من ظلمات وعواصف وأعاصير

والعجيب أن كلمة الجلاء لم ترد فى تصريحات هذه الفئة الجديدة مرة واحدة . وكلمة الاستقلال التام هذه كلمة (انجليزية الروح) لها ألف معنى وألف اتجاه ، وقد كانت هذه المقابلة المندوب الانجليزى لا ترمى إلى فرض حقوق الوطن والتهديد بالشعب المتحمس الذى يكاد ينفجر حماسه وثورة فى ذلك الوقت ، وإنما كان لطلب مساعدة انجلترا لهم فى الحصول على الاستقلال ؟ وقد امتدح سعد فى حديثه ذلك الانجليز واعترف لهم بالأعمال العظيمة التى باشروها فى مصر والمبادىء العالية التى نفذوها فى العالم ، مبادىء الحرية والمساواة ، ونسى سعد أن هذه الأعمال العظيمة كانت خلال وجوده فى الوزارات المتتالية كانت نفيا للاحرار وضغطا على الحريات واساءة وعدوانا واذلالا للشعب الأبى وتعطيلا

الصحف وتكميماً للأفواه والأقلام . ومن هنا نعرف كيف تنحى الأحرار وكيف أقصى المخلصون الذين جاهدوا وصابروا وصبروا وربوا الشعب وأيقظوا روحه عن الميدان وطفا على السطح هؤلاء الذين آمنوا بالتفاهم والمساومة ومن هنا نعرف كيف قبل الانجليز أن يسمحوا لهؤلاء بأن يتشكلوا على الأوضاع الحزبية وأن يسافروا إلى أوربا وأن تعرض عليهم العروض المختلفة على ضوء تصريحات الثلاثة الذين قابلوا مندوب انجلترا ومضت القضية الوطنية في طريق أعوج كثير الثنيات والتعاريج وتقلصت من أفكار الناس وآرائهم الأهداف الوطنية وقواعد الكفاح والمقاومة الوطنية كما رسمها مصطفى وفريد ، وظل هؤلاء الورثة لمجد ثورة ١٩١٩ يسخرون من مصطفى وفريد واتباعهما ويرمونهم بالخيال حتى جاء الوقت الذى ردت مصر كلها هتافهم القديم لامفاوضة إلا بعد الجلاء . . . وحدة وادى النيل . . . مصر والسودان

والعجيب إن مشاريع المعاهدات والمفاوضات لا تزال إلى اليوم ترتكز على هذه النقاط التى صرح بها سعد للمندوب الانجليزى ولا تزال انجلترا تحتفظ لنفسها فى كل مشاريعها التى عرضتها على مصر منذ سنة ١٩٢١ إلى الآن بالقواعد الآتية :

(١) قناة السويس وحمايتها .

(٢) المحالفة العسكرية بتقديم الجنود والعتاد والقواعد والمواقى البرية والبحرية والجوية وطرق المواصلات فى حالة الحرب - وقد زاد عليها فى مشروع (صدقى - بيفن) بتقديم المصريين للحرب مع الانجليز خارج حدود مصر وفى الأقطار المجاوره والمتاخمة .

(٣) فصل قضية مصر عن السودان وتأكيد اتفاقية ١٨٩٩ الباطلة .

(٤) قصر القضية المصرية فى حدود التفاهم مع انجلترا وحدها ، وفرض التحالف مع انجلترا وحدها وحلفاءها باذنها والامتناع بتاتا عن عقد أى معاهدة مع أعدائها - يقع هذا والعهد قريب بتصريحات محمد فريد فى قلب انجلترا نفسها - وتصريحه سنة ١٩٠٨ إلى (كيتل) عضو مجلس العموم حين سأله عما يطلبه المصريون

من انجلترا حيث قال كلمته الصريحة (نحن لا نطلب شيئا سوى الجلاء ، فالجلاء هو الدواء الوحيد للاحتلال)

ومن هذا ترى أن التيار تحول من حق معلوم واضح محدد ، لا لبس فيه ولا غموض إلى مساومات ومحاولات ومحادثات وعروض ، ومن اليوم الذى رضى فيه الزعماء بمبدأ التفاهم فى الاحتلال وقتل مبدأ الجلاء وعدم التعاون مع المحتلين والقضية المصرية تفقد اسانيدها وقوتها وسطوتها وأثارها الفعالة ، وهذا ما كان يريده الانجليز وما وجهوا اليه همهم حين شعروا بهذه الفوره الوطنية الصادقة وقد استطاعوا بهذه المؤامرة المنسقة العجيبة أن يقتلوا الكفاح الوطنى فى مهده وأن ينقلوه من الجهاد والنضال والخصومة والمقاطعة إلى مناورات السياسة ومؤمرات الأحزاب ومساومات المفاوضة على يد سعد وزعماء ما بعد الثورة . ولكن الشعب كان يفهم مطلبه الواضح وحقه الصريح ولم تكن قد انكشفت له بعد مناورات السياسة ، وعلى أساس مطلبه وحدة وحقه وحده . أشعل الثورة ، هذه الثورة التى لم تكن نتيجة تدبير زعيم ، ولم تكن احتجاجا على نفى كبير ، وإنما كان مطالبه عملية بالحق الواضح المضطهد ، هذه الثورة التى لم يستطع زعيم بعد ذلك أن يشعلها ، مهما صفق له الشعب أو جمع حوله الأنصار فقد تحولت القضية من وطنية إلى سياسة ومن إجماع إلى فرقه ومن وحدة إلى أحزاب ومن مجاهده للغاصب ونضال للانجليز ، إلى خصومه بين الزعماء أنفسهم ومن عداء صريح للانجليز إلى صداقة قوامها الخوف من جانب الضعيف عدوان من جانب القوى بأساليب بهلوانية كلها ألفاظ النصح والمجاملة

ومن الحقائق التاريخية التى لا تقبل النقض أن أول فكر فى تأليف هيئة (توفد لعرض قضية مصر) لا للتفاهم فيها هو الأمير عمر طوسون أو حسين رشدى والرواية التى تقدم الأول تقول إنه فاتح سعدا وغيره (ثم ظهر بعد ذلك أن سعدا أراد أن ينفذ الفكرة التى فاتحه الأمير فيها ولكن بعيدا عن الأمير) . . (وظاهر من الملابسات أن فكرة تأليف الوفد قد صدرت أول ما صدرت من

الأمير عمر طوسن وتلقاها عنه سعد باشا وانفرد بها لكى لاتكون الرئاسة للأمير إذا ظل مشتركا فى تنفيذها (١).

ومن هنا تبين أما (١) أن الانجليز أبعدوا عمر طوسون لأنه خصم عنيد ومن رأيه المطالبة بالجلاء الصريح وأما (٢) أن سعدا أراد أن ينفرد برئاسة الوفد وقد يكون الوضع الصحيح هو إبعاد الأمير وتقريب سعد لأن الأمير من أنصار (الجلاء وعدم التعاون مع الانجليز) وسعد من أنصار (الاستقلال والتفاهم مع الانجليز).

(٢) وقد عمل (٢) الوفد على جمع توكيلات تعينه على أداء مهمته وأختار لها صيغة مضطربة، لاتنص على الحقوق الشرعية الكاملة للقضية الوطنية هذه صورتها (فى أن يسعوا - أى أعضاء الوفد - بالطرق السلمية المشروعة حيثما وجدوا للسعى سبيلا فى استقلال مصر تطبيقا لمبادىء الحرية والعدل التى تبشر بها دولة .... العظمى وحلفاؤها ويؤيدون بموجبها تحرير الشعوب)

وفى هذه الصيغة ألفاظ غير صحيحة بالنسبة للفهم الوطنى، فانجلترا لم تكن يوما من الأيام من دعاة مبادىء الحرية والعدل، ولم تسع لتحرير الشعوب فاثبات هذه العبارات فيه إقرار ضمنى بعدالة الانجليز وهم قد احتلوا مصر بغير حق، وفى بقاء هذه العبارات خطأ لاشك فيه، ومن الظلم البين أن يوقع الشعب على أن هذة المعانى صحيحة وصادقة، وأن كان كاتبها لايعترف بها وإنما أراد بها المجاملة فهى فى نظر الوطنى الصادق ضعف وجبن عن مواجهه الأمور بقوة وصراحة وكذلك عبارة (استقلال مصر) فيها أغضاء عن وحدة وادى النيل وإنكار للسودان، وعبارة (الطرق السلمية المشروعة) فيها معنى التفاهم

---

(١) ص ٧٦ (ثورة ١٩١٩) للاستاذ الرافعى

(٢) لم تكون توجد مدعاة لتألف وفد جديد والحزب الوطنى موجود فى ذلك الوقت وهو الذى ايقظ الشعور الوطنى وقد كانت مطالبه واضحه صريحة قاطعة ولكن هذه الصراحة فى المطالب هى التى دعت لاستبعاده لأن الانجليز أرادوا طبقة أخرى تقبل التساهل والتفاهم وانصاف الحلول.

والمفاوضة والمساومة ولا تعنى طبعاً التهديد بالمقاطعة والخصومة . اما عبارة (السعى حيثما وجد للسعى سبيلا) فهى فضلا عن أنها عبارة ضعيفة إذا أن السعى هو أضعف عبارات النضال فإن سعد وحزبه وزعماء مصر منذ ذلك الحين هم الذين قصروا قضية وادى النيل على التفاهم بين مصر وانجلترا وحدهما وذلك توجيه انجليزى يراد به قتل (عالمية القضية الوطنية) بعدم عرضها على المؤتمرات العالمية .

وقد عدلت هذه الصيغة الضعيفة بجهود الحزب الوطنى وخفت منها روح التملق والضعف التى اعتذر عنها الوفد بأنها نتيجة للظروف الاستثنائية . وإن كان سعد قد أصر على ألا تدرج مسألة السودان ؟ وامتنع حتى عن الاشارة اليها .

وإن كانت جميع المذكرات المتبادلة بين الوفد وانجلترا قد حملت روحا من الضعف والتملق توصف بالسرف إذ وردت كثيراً هذه العبارات ،

(١) أننا نعتمد كثيراً على تقاليد . . . . العظمى التى مازالت تقدم للعالم كثيراً من الأمثلة على تمسكها بمبادىء الحرية الشخصية .

(٢) فوز مبادىء الحرية والعدل التى جاهدت . . . . العظمى لتحقيقها .

واعتقد أن هذه العبارات إقرار ضمنى من هؤلاء المجاهدين واعتراف بأن مبادىء الاستعمار والتعسف والاحتلال والطغيان والظلم التى استعملتها انجلترا فى مصر والشرق هى مبادىء الحرية والعدل التى أدت إلى النصر .

(٢) أشار (ملنر) (١) فى تقريره عن حزب الوفد الذى يرأسه سعد (٢) بهذه العبارة التى تكفى لتسجيل مكان هذا الحزب وزعيمه فى القضية الوطنية (هيئة مؤلفة من أعضاء أكثرهم ليسوا من الغلاة المتطرفين بل أصلهم من حزب الأمة القديم الذى كان غرضه التقدم الدستورى تدريجيا ، بخلاف الحزب الوطنى الذى هو حزب الثورة ومعارضة الانجليز)

---

(١) سيأتى الكلام عن ملنر فيما بعد

(٢) سعد ارتضاه الانجليز وكيلا للجمعية التشريعية لأن الانتخابات اقتصرت على أعضاء حزب الامة والجمعية التشريعية من صنع كتشنر

(٣) طلب الوفد السفر فرفض التصريح له ، ولفت الانجليز نظره - أى الوفد - إلى استبدال ذلك بتقديم اقتراحات مكتوبة (لاتخرج عن الخطة التى رسمتها حكومة جلالة الملك وأعلنتها من قبل) وطبيعى هذا نتيجة للضعف الذى شعر به الانجليز من موقف الدعاة الجدد للقضية الوطنية . وقد أرسل الوفد مطالبه إلى معتمدى الدول الأجنبية فلم يذكر فيها بصراحة (الجلاء - ولا السودان)

(٤) استقالت وزارة رشدى احتجاجا على عدم السماح للوفد بالسفر ، وقد كانت النية متجهة إلى تأليف وزارة تؤيد الحماية وتعارض أمانى الشعب . وقد احتجت الأمة لذلك ، واستنكرت هذا الاتجاه وأخذت السلطة العسكرية تفكر فى سياسة جديدة قوامها التهديد والعنف للقضاء على هذه الحركة فى مهدها . وقد انتهت هذه السياسة الجديدة إلى اعتقال سعد وبعض من معه ونفيهم ، وقد يكون هذا الاعتقال نفسه - ولا أزيد منه - مصير سعد لو أنه كان أثبت جنانا وأوضح خطة وأمد للحوادث وأصرح فى المطالبة بالجلاء الكامل ويوحده الوادى ، وكان ذلك - لو تم - أكسب للقضية الوطنية وأبعدا أثرا . وأنى للمحاولات والمطاولات والمداولات التى علقت القضية الوطنية ربع قرن تداولت فيها الأحداث وجرت فيها الأفلاك وتغيرت فيها الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية فاثرت فى كل شيء . . .

ولقد كان لهذه الخطوات الضعيفة التى قامت على (حسن الظن) والصداقة والثقة والتفاهم مع الانجليز أبعد الأثر فى هذه القواعد الرجعية الظالمة التى سار عليها الزعماء بعد ذلك والتى قامت عليها مشاريع المعاهدات وأساليب التحالف

وقد ثبت يقينا إن هذا الاتجاه كان خطأ كله وبرهنت الأيام على فساد هذه الخطط التى تستعيض عن الجهاد والنضال والخصومة بالمجاملة والصداقة والتفاهم فقد جعلت موقفنا مع الانجليز موقف الحمل مع الذئب على طول الخط ، وانجلترا دولة ماكرة خادعة لا تحترم الأمم إلا عن اقتناع بقوة عارضتها وصدق عزيمتها وإيمانها بحقها واستعدادها للتضحية والفداء .

ولم يعد هناك مجال لتزلف إلى انجلترا أو اتباع سياسة الاستجداء معها ،

ولم نصبح فى حاجة إلى تصويرها بصوره الحامية لحقوق الضعفاء ، المدافعة عن حقوق الإنسان بل أصبح الخير أن نواجهها بالواقع فتصارحها بأنها ظالمة طاغية سلابة لحقوق الأحرار ، قتالة لروح الوطنية فى الأمم ، عاملة على تمزيق الشعوب وإهدار كرامتها وعزتها .

إننا نريد إيمانا بالله وحدة ، وبحقوق الإنسانية الكاملة وحريتها ، وتؤمن بالجهاد والتضحية والفداء والصمود للاهوال ، والقوة على النضال والصبر على الكفاح ، وأنه لا سبيل إلى نوال الحقوق إلا باستلابها وأن المساومة عليها والتفاهم فيها معناه أهدارها والشك فى استحقاقها وعدم الثقة فى قوة الاضطلاع بها وضعف فى القدرة على احتمال أعبائها ، هذا الإيمان الذى نريده ، هو الذى تجلت بوادره واضحة فى شباب ١٩٤٦ حين نادوا بالجلاء الناجز ووحدة الوادى وصرخوا من أعماق قلوبهم قائلين للانجليز :

أخرجوا من بلادنا .

النيل لا يتجزأ .

لا حزبية بعد اليوم .

ومن هذا الإيمان بالله ، الإيمان الكامل بالحقوق الإنسانية التى قررها القرآن ونفذها الإسلام نستمد العزم على جهاد من لون جديد ، جهاد التمسك بالحقوق والاستماتة فى الدفاع عنها ورفض المساومة فيها ومخاصمة كل عدو لها أو حائل دونها .

والحمد لله أن هذا الشعب الكريم قد فهم حقوقه وآمن بها وأنه قد كفر بالزعامات الفاشلة التى أخفقت مدى ربع قرن فى استخلاص حقوق البلاد ، فهو الآن المسيطر على قضيته ، المدافع عنها ، المجاهدة فى سبيل حريته ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز (١)

(٥) أتحدث انجلترا عدتها فى مؤتمر الصلح لتؤكد الحماية على مصر ووضعت خطتها الجبارة ، خطة التفاهم والمساومة والمماطلة والمحاورة ، وعرض المشاريع رغبة فى قتل روح هذه الثورة القوية المفعمة بالايمان الصادق بالحرية ، المطالبة

---

(١) هذا استطراد لم نستطع دفعه

بالجلاء الناجز عن أرض الوطن ثم أفرج عن الوفد وأرسل إلى باريس فقفلت في وجهه الأبواب فكانت الصدمة الأولى ، ثم صدم ولسن الأمة في شعورها الوطني صدمة عنيفة ثانية حين صرح بأن أمريكا تؤيد الحماية الانجليزية في مصر وتعترف بها وكانت الصدمة الثالثة هي إعلان شروط الصلح التي قررها الحلفاء في معاهدة فرساي وفيها قبول للحماية التي فرضتها إنجلترا على مصر ،وكان طبيعياً أن يكون هذا الاعتراف سبيلا إلى ازدياد الاضطهاد الانجليزي في مصر للشعب والاسراف في العسف واستعمال الكرباج ونهب القرى

(٦) وتألفت على أثر ذلك وزارة جديدة مؤيدة للاحتلال لمقاومة الحركة الوطنية (وزارة محمد سعيد باشا ٢١ / ٥ / ١٩١٩) ومن المفارقات العجيبة أن الحكومة المصرية ابتهجت بتوقيع معاهدة الصلح وهي التي تحتوى اعترافا بالحماية عليها وتبودلت التهنئة بين الوزراء ودار الحماية وبين سلطان مصر وملك انجلترا

(٧) ثم تألفت لجنة (ملنر) وأرسلت إلى مصر لتحقيق أسباب الحركة الثوريه وقد قاطعها الشعب وأظهر احتجاجه البالغ عليها ولم يتقدم لها أحد كما كان منتظراً ليدلي لها بأي بيان ، وقد أعلنت دار الحماية أن مهمة اللجنة (اقتراح النظام السياسي الذي يلائم مصر تحت الحماية) وعقبت على ذلك بقولها (غرض انجلترا الدفاع عن مصر من كل خطر خارجي أو من تدخل أي دولة أجنبية وغرضها في الوقت نفسه تأسيس نظام دستوري تحت إرشاد انجلترا ..) وقد رد الحزب الوطني على هذا البلاغ ببيان قوي رائع ، وجه فيه نظر الشعب إلى ضرورة استمساكه بحقوقه كاملة - باستقلال مصر وسودانها وملحقاتها استقلالا كاملا خالصا من كل قيد أو شرط إلى أن قال (يجب أن ترفض كل مفاوضة أو مناقشة مع الغاصب ، ويجب ألا تقبل مساومة في الاستقلال فلسنا نرضى إلا بالحق كاملا ، وبالاستقلال تاما شاملا) . . وانتهى بقوله (فليفعل الغاصبون ماشاءوا وليسلكوا من سبل الارهاق والارهاب ماأرادوا فلن نفاوضهم أبدا ولن نمد لهم يدا)

أما الوفد فقد أصدر بيانا ضعيفا ذكر فيه عباراته التقليدية الضعيفة (مبادىء الحرية والمساواة التى أعلنها الحلفاء فى تحرير الشعوب) وما سوى ذلك من ألفاظ وكلمات جوفاء لاقيمة لها، وألفت وزارة يوسف وهبه بعد استقالة سعيد فى ٢١ / ١١ / ١٩١٩ وهى وزارة أثنى عليها ملنر فى تقريره ثناءا عاطرا وقد احتج عليها الأقباط قبل غيرهم ، وقد اتسع فى عهدها نطاق الحكم المطلق فلما غضب السلطان على رئيسها أقصاها وقدم وزارة نسيم للحكم فى ٢٢ / ٥ / ١٩٢٠

المفاوضات والمعاهدات

(١) كان حضور ملنر إلى مصر سنة ١٩١٩ كحضور دوفرين سنة ١٨٨٢ لوضع خطة للسياسة الاستعمارية جديدة فقد نفذت خطة دوفرين من سنة ١٨٨٢ إلى الثورة ونفذت خطة ملنر من سنة ١٩١٩ إلى اليوم وقد قوبلت لجنة ملنر مقابلة عدائية ووصلها ١١٣١ برقية احتجاج ومقاطعة وقد نشرت بيانا قالت فيه أنها جاءت لتعمل على التوفيق بين أمانى الأمة المصرية والمصالح الخاصة للانجليز فى مصر مع المحافظة على الحقوق المشروعة التى لجميع الأجانب القاطنين فى البلاد .

وقد كانت عبارات الحزب الوطنى فى الرد عليها قوية واضحة تستحق التسجيل (إن الأمة المصرية لاتقبل غير استقلال مصر التام مع سودانها وملحقاتها استقلالا غير مشوب بأية حماية أو وصاية أو سيادة أجنبية أو أى قيد يقيد هذا الاستقلال ، وأنها لاترضى بالمخابرة مع هيئة انجليزية أو غيرها إلا إذا اعترفت انجلترا بهذا الاستقلال التام وأعلنت اعترافها به رسميا وأيدته بجلاء الجنود الانجليزية عن وادى النيل وسحبت إعلان الحماية)

(٩) هكذا كانت الوطنية المصرية تفهم القضية ولو تمسك الزعماء بمبدأ الجلاء ورفض الدخول فى أى مفاوضات قبله لكان ذلك وضعا صحيحا للأمور واستمساكا بالحقوق كاملة وارغاما للانجليز أمام هذا الثبات والاصرار على التنازل عن العتو والطغيان .

(٢) والمفاوضات ذاتها كما يقول الأستاذ الجليل عبد الرحمن الرافعي بك من الناحية الانجليزية وسيلة لكسب الوقت وصرف الأمة عن التمسك بالجلاء ومن الناحية المصرية وسيلة للتراخي في المقاومة وقبول الأمر الواقع (ص ٩٨ ثورة سنة ١٩١٩ - الثاني)

ثم يقول (. . . هذا إلى أن المفاوضات والاحتلال قائم فيها معنى الاكراه الأدبي والمعنوي الماثل في الاحتلال ذاته والاحتلال يفسد معنى المفاوضات ونتيجتها ويحمل المفاوض المصري تحت تأثير الاكراه على المساومة في الجلاء والتساهل في وجود الاحتلال أي تحت اسم كان (ص ٩٨ - ثورة -٢)

وقد سيطر التدخل الانجليزي على كل شيء حتى ورائه العرش فقد فرضها على السلطان فؤاد في خطابه المؤرخ ١٨ / ٤ / ١٩٢٠

(٣) عاد ملنر إلى لندن بعد المقاطعة وفي نيته المفاوضة مع الوفد المصري على اعتبار أن التفاهم معه قد يمكنه من مأربه وقد قدم ملنر مشروعا لمعاهدة تعقد بين مصر وانجلترا ورفضه الوفد وقدم الوفد من عنده مشروعا آخر فرفضه ملنر. ثم عرض ملنر مشروعا جديدا وصرح بأنه غير قابل للمناقشة وأنه يلزم إما أخذه أو تركه كله (١)

(٤) أما المشروع المصري ذاته فقد كان وصمة عار في جبين الذين قدموه . وإما مشروع ملنر الأول والأخير فلا يزال هو الأساس والقاعدة التي تسير عليها المفاوضات بيننا وبين انجلترا بل لعله اجمالا - خير من معاهدة ١٩٣٦

ولقد قبل المشروع المصري وجود قوة دفاعية في الأراضي المصرية وهو بذلك أقر الاحتلال العسكري أو التحالف العسكري ، وقبل فصل مسألة السودان عن مصر وتأجيلها إلى اتفاق خاص ، وقبل حلول انجلترا محل الدول الأجنبية في امتيازاتها .

وقد صرح ملنر بأن (السودان) لم يكن موضع الكلام بينه وبين سعد بالكلية لأنه خارج عن دائرة الاتفاق المقصود لمصر ، والعجيب أن ملنر صرح لسعد هذا التصريح الخطير العجيب **اننا الآن في مصر واضعون يدنا على كل شيء**

(١) وهذه عادة استبدادية تقليدية على ما يظهر عند الانجليز

ونبديه أنه نخلى عنها فى مقابل شىء واحد هو أنه تعترفوا بمركزنا فيه لانه الآنه فعلى ونريد أنه يكونه شرعيا مستندا الى قوة عسكرية

نحن نبحث عن مصر منذ أكثر من مائة سنة وهى الآن فى قبضتنا فعلا ونريد أن يكون مركزنا فيها شرعيا بقبولكم ،اه

وهكذا ترون كيف خدعنا سعد ومن معه من الزعماء حين فرضوا فى أنفسهم القيادة لهذا الشعب وقد كان حريا بهم يومئذ أن يقطعوا كل علاقة بينهم وبين الانجليز ، وأن يوقفوا كل تفاهم ، ويعودا إلى صفوف الأمة يدعونها إلى الجهاد ويطالبون بحقوقها كاملة غير منقوصة

(٥) وقد أرسل سعد مشروع ملنر إلى مصر لاستشارة الأمة ولم يعلن رأيه فيه إعلانا صريحا ورضى به (لاشتماله على مزايا لا يستهان (١) بها) !! والعجيب أن يصرح بقوله (أما إذا قبله غيرنا وكانت الأغلبية معهم فذلك شىء آخر لا تقع تبعته علينا) . . . ؟ ؟ وهذا كلام أعوج مطعم بالضعف والانحلال وقبول الاحتلال والرضى به

وقد أنتج هذا تصريحا لكرزون فى مجلس اللوردات قال فيه (أن زملاء سعد توجهوا إلى مصر لكى يشرحوا لأبناء وطنهم المعاهدة التى كانوا يبحثونها فلم يشرحوها فقط بل حبذها لأشياعهم فكان لها حظ كبير من الموافقة . . ؟!)

(٦) ثم قدم الوفد تحفظاته على مشروع ملنر فكان من العجيب أن طلب إلغاء الحماية صراحة ولم يطلب الجلاء إطلاقا ، وفى مسألة السودان تكلم عن ضمان مياه النيل أولوية مصر فيها ولم يتعرض مطلقا للوحدة الكائنة القائمة اللازمة بين مصر والسودان بل وصرح سعد فى خطبته (أنه شديد الرغبة فى إيجاد حالة موافقة للتسوية)

وإذن فالأمر فى عقيدة سعد أنه تسوية وليس جهاد وإنه مساومة وليس إصرار على الحقوق ؟

(٧) ومن هذه العبارة يتبين مدى إيمان سعد بقضية الوطن ، مضافا إلى

---

(١) خطابه فى ٢٢ أغسطس سنة ١٩٢٠

ذلك تصريحه بأن مشروع ملنر (به مزايا لا يستهان بها) كل هذا له معناه فى موازين التاريخ

أما هذه المزايا فلم تكن إلا إلغاء الحماية ، والاعتراف (الشكلى) بمصر دولة مستقلة ذات سيادة ، وقد اعترفت إنجلترا بهذا من جانب واحد بعد أن رفض مشروع ملنر دون مفاوضة أو مساومة (تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢)

(٨) أصدر الحزب(١) الوطنى على أثر ذلك قرارا يدل على يقظته التامة ووطنيته الصادقة بعد فشل محادثات ملنر رغب فيه الأمة فى أن لا تفاوض أية هيئة إنجليزية فى أمر الاتفاق بين مصر وإنجلترا إلا إذا أعلنت إنجلترا بصفة رسمية دولية إستقلال مصر التام غير المشوب بأية شائبة وجلت جنودها عن البلاد ، وصرح أيضا بأن الترويج لهذا المشروع يرمى إلى هدم كيان مصر السياسى الشرعى ويقضى على مطالب الأمة قضاءاً مبرما

(٩) وقد دعا هذا ملنر إلى أن يذكر فى تقريره (٩ - ٩ - ١٩٢٠) أن فى مصر أناسا كثيرين لم يتشربوا (روح الاتفاق) بل لا يزالون يعادون (لحسن التفاهم) بين إنجلترا ومصر

وقد عقب ذلك تصريح (تشرشل) عدو الانسانية ونصير الظلم وأداة الاستعمار فى فبراير سنة ١٩٢١ (بأن مصر جزء من الأمبراطورية المرنة)وقد احتجت البلاد على هذا التصريح وانتهى الموقف باعتبار(الحماية علاقة غير مرضية) وكتبت دار الحماية إلى عظمة السلطان فى ٢٦ - ٢ - ١٩٢١ تطلب تعيين وفد رسمى لأجل الشروع فى تبادل الآراء مع حكومة جلالته فيما يختص بالاتفاق المنوى عقده

وقد كان قبول هذا على على أساس العبارات المطاطه (حسن التفاهم - روح الاتفاق - التسوية - الصداقة - الثقة . . ! !)

---

(١) ولا يزال الحزب الوطنى الى الآن يقظاً وآية ذلك كلمة الاستاذ الرافعى فى الأهرام ٢٨ / ١١ / ١٩٤٦ بعنوان (منطق المقاومة الوطنية) ينقض فيها مبدأ المحالفة ويدعو الى المقاومة الوطنية

×

(١٠) وكان هذا هو أكبر خطأ ارتكب في تاريخ القضية المصرية باستقالات على أثره وزارة نسيم في ١٥ - ٣ - ٩٢١ بعد أن كرهته الأمة وأضافته إلى القائمة السوداء ، قائمة أنصار الاحتلال مصطفى فهمى ، ومحمد سعيد وبطرس غالى وقد كلف عدلى باشا بتشكيل الوزارة الجديدة وأخذ على نفسه فيها العمل على وضع الدستور وإجراء انتخابات حرة وما إلى ذلك مما كان التفكير فيه قبل انسحاب الجيوش الانجليزيه من أكبر الأخطاء فى تاريخ القضية الوطنية

(١١) والواقع أن عدلى باشا لم يفكر فى هذا من نفسه ، أو أن هذا كان من الأمور الخطيرة التى سعى اليها هو أو غيره بل كان ذلك أسلوبا جديداً من أساليب تخدير الأعصاب للأمة ، ودسيسة على القضية الوطنية ، أن تصرح إنجلترا بأنها لا تقبل الاتفاق مع الوفد ، وإنما تقبله مع (حكومة دستورية) وقد أدى ذلك إلى مراسلات، جرت بين سعد وعدلى لتأليف وزارة برئاسة الأخير تتولى وضع الدستور ثم تباشر المفاوضة

وقد كان قبول النظام الدستورى والبرلمانى فى ظل جيش الإحتلال وعميد الاحتلال مما دعا إلى تدخل الانجليز فى أمر الدستور حتى صرح سعد زغلول نفسه (أن فى الدستور كلمات كتبتها يد فى دار الحماية) وكل قبول لأى وضع جديد فى مصر دون جلاء جيش الاحتلال واعتراف إنجلترا باستقلال مصر كان وسيلة لاستمرار هذا الاحتلال وسبيلا إلى فرض نفوذ إنجلترا فرضا على الحكومات القائمة المتوالية وإجراءا خاطئا فى قبول المفاوضات والمحادثات فى ظل الاحتلال وتحت ضغط الأسطول الانجليزى الذى ترسله انجلترا بين آن وآخر كلما علت صيحة من صيحات الاحتجاج على خصومتها للحرية والوطنية

والعجيب أن هذه الوحدة التى قامت بين الزعماء لم تدم طويلا فقد انفصمت عراها عند ما شكل وفد المفاوضة الأول وفرض سعد نفسه على الوفد دون رئيس الحكومة ، ومن هنا تمزقت الأمة فانحاز جانب منها إلى سعد وجانب إلى عدلى وأسس حزب الأحرار وفرح الانجليز بهذا الانقسام وعرضوا على عدلى عروضا ضعيفة تحت تأثير الخصومة بينه وبين سعد ، وضغط حملات الوفد عليه

وبدأت منذ هذا التاريخ عوامل الانقسام والفرقة والتمزق مدى ربع قرن كامل ولا تزال انجلترا إلى الآن تعرض على الحكومات المتعاقبة العروض ولا يزال الزعماء الذين فشلوا فى لجر الحركة القومية هم بعينهم الذين يتصدرون موائد المحادثات والمفاوضات ، ولا تزال أساليب انجلترا الغاشمة الظالمة فى تقديم العروض والتسويات والمساومة على الحقوق الواضحة (١)

(١٢) صحيح أن تغيير نظام الحكم من مطلق إلى دستورى ، كان تحقيقا لغاية طالما رغب إليها الشعب ، ولكن المتتبع لتاريخ الحركة يرى أن المعسكرات تعددت فأصبح هناك عابدين ، ولاظوغلى وقصر الدوباره واضطربت الأمة بين هذه القيادات فلطالما وقع الخلاف بين سعد والقصر ولطالما فرض قصر الدوباره سلطانه على الحكومة ، ولو تم هذا النظام الدستورى البرلمانى فى ظل الجلاء والحرية لما اختلفت القيادات وتعددت ولتعاونت الحكومة والأمة على تحقيق الأهداف الوطنية والاجتماعية كاملة هذا فضلا عن أن الانجليز فرضوا أنفسهم فرضا على مواد الدستور وحذفوا منها (ملك مصر والسودان) كما سيأتى ، وأصروا على عدم ذكر السودان كجزء من مصر فضلا عن أن مواد الدستور لا تسرى عليه ، وعلى ذلك فان الدستور لا يكمل إلا بعد تمام الحرية وجلاء الانجليز جلاءاً تاما ، وامتناع سلطانهم وانتهاء إشرافهم ولطالما عبث الانجليز بالدستور وعطلوه وفرضوا على البلد أحكاما دكتاتورية وانقلابات ضد إرادة الأمة وأباحوا لأنفسهم تقييد الأمة بغيرها مقيدها بها دستورها ، إذ الواقع أن الدستور حفاظ على حقوق الأمة وسياج لحريتها وكرامة شعبها يحد من سلطات الطغيان والعسف والظلم التى تعرف فى خلال عهود الحكم المطلق والاتوقراطى

---

(١) تفصيل الخلافات الحزبية والوزرات المختلفة فى كتابنا (تاريخ الاحزاب السياسية و الزعماء)

مظاهر الثورة

(١) بدأت بمظاهرات سلبية فى مارس سنة ١٩١٩

(٢) تصدت لها العسكرية الانجليزية باطلاق الرصاص على المتظاهرين فزادها ذلك حماسا واشتعالا

(٣) مثلت فيها طوائف الشعب جميعه وأضربت المحال والأعمال

(٤) امتدت إلى الأقاليم اضرابا وتظاهرا

(٥) قطعت السكك الحديدية وأسلاك البرق ، وتعطلت المواصلات

(٦) أعلنها الشعب وقادها الشعب ولم يكن لزعيم ما ولا لحزب ما فضل فيها أوأثر وهدفت إلى إجلاء الانجليز عن البلاد

(٧) ضحى فيها الشعب بابنائه ودمائه ومصالحه واحتمل كل عسف وشدة

(٨) استشهد فى هذه الثورة كثير من الجنود المجهولين (من(١) غير البيئات التى تنازعت مجد الثورة وثمرتها فيما بعد)

(٩) استمرت الثورة من مارس إلى نوفمبر ولكن أثارها بقيت إلى اصدار ٢٨ فبراير المشئوم

---

(١) الاستاذ عبد الرحمن الرافعى بك

تصريح ٢٨ فبراير

ثورة ١٩١٩ كانت مرتجلة لأنها كانت ثورة عاطفة لم تركز على دعائم من الروحية والخلق والوعى الاسلامى الكامل ولذلك فان جمرتها قد انطفأت سريعاً ولم تبق فى يد الشعب ليزيدها أواراً وليسير على شعلتها المقدسة ، بل تسلمها الزعماء فقتلوها وأطفأوها بالنار والتراب .

فقد قبلوا التفاهم مع الانجليز فى الحقوق الواضحة ، ثم خدعهم تصريح ٢٨ فبراير ، وألقى بين أيديهم فتنة عجيبة شغلتهم عن الوطن إلى التنازع عليها وتقاسمها ، فانصرف همهم فى حدودها ثم وضع الزعماء دستوراً سيطرت عليه يد الانجليز فلم يقبل فيه الاعتراف بحدود مصر ولا بملك مصر ملكا على مصر والسودان ولم يقبل ذكر علاقة السودان بمصر فيه علاقة واضحة صريحة كما يراها الوطنيون . وترك تصريح ٢٨ فبراير القضية المصرية تحت التفاهم والمفاوضة ، وكان الاستقلال إسما على غير مسمى ولفظا مطاطا لا يحمل من ورائه معنى فقوات الاحتلال باقية والمندوب البريطانى لا يزال يفرض نفوذه ، ويهز الوزارات ويقلبها ويفرض نصائحه وأوامره وإنذاراته ، حتى بعد معاهدة ١٩٣٦ التى قررت الاستقلال بصورة أصرح ، استباح الانجليز لأنفسهم أن يفرضوا حاكما بسلطان الدبابات .

وكانت مشروعات المفاوضات كلها كسبا للوقت ومطاولة مطاطة ومناورة ماكرة ، تلبس أثوابا براقة ، وتقدمها نفوس ملأى بالمكر والدهاء لاتحمل إلا الاستعباد والاستبداد فى أشد صورة وأعنف ألوانه حتى جاءت معاهدة ١٩٣٦ المشئومة فاعترفت بشرعية الاحتلال ووقعها زعماء البلد ، وكتبت على البلد ذلا لا حد له وشقاء لامزيد عليه ، وقبلت مصر بها بقاء الجيوش الانجليزية وحصارها لقناة السويس ودعمت اتفاقية ١٨٩٢ الباطلة التى فرضها كرومر على مصر فى أشد

أوقات المحنة ، هذا فى الوقت الذى صرح فيه المفاوض المصرى سنة ١٩٣٠ بقوله (تقطع يد من يوقع المعاهدة بغير السودان)

(١) تصريح ٢٨ فبراير كان تصريحاً من جانب واحد ، هو الجانب الانجليزى بإلغاء الحماية وبقاء الاحتلال ، وقد حصل عليه ثروت وصدقى ، بالاتفاق مع اللنبى على أن يوجه إلى سلطان مصر وقد أعدت صورته بمعرفة صدقى - وذلك على أثر قطع المفاوضات التى دارت بين عدلى - كرزن فى ختام سنة ١٩٢١ والتى حاربها سعد وانتهت بنفيه .

(٢) اعترف التصريح بمصر دولة مستقلة ذات سيادة مع الاحتفاظ بأربع أمور تجرى بشأنها مفاوضات : (١) تأمين المواصلات (٢) الدفاع عن مصر (٣) حماية المصالح الأجنبية (٤) السودان .

ونص فى ملحق التصريح بأن لمصر أن تنشىء برلمانا يكون له الاشراف والرقابة على السياسة والادارة فى حكومة مسئولة طبقا للنظم الدستورية .

(٣) كلف ثروت على أثر ذلك بتأليف الوزارة (١) وطلب إليه فى خطاب تأليفها وضع النظام الدستورى وقد صرح ثروت فى خطابه إلى السلطان بأنه سيضع مشروعاً دستورياً يقرر مبدأ المسئولية الوزارية ويكون به للهيئة النيابية حق الاشراف على العمل السياسى المقبل .

(٤) قوبل هذا التصريح بفتور من الوطنيين المخلصين ، ذلك لأنه إذا كان هذا هو كل أثر أنتجته ثورة ١٩١٩ فما أضعفه من أثر ، وما أضيع هذه الثورة وسلام الله على الدماء التى سفكت من غير أن تأتى للوطن بحقوقه الكاملة الصريحة

وطبيعى أن يرضى على هذا التصريح أولئك الذين هيأ لهم الدستور حياة جديدة لها كيانها وسلطانها ومجدها ، ولم يكن لهذا التصريح أى أثر إلا هذا

---

(١) سيأتى بيان ذلك فى كتابنا القادم (الاحزاب السياسية والزعماء)

الاعتراف المكتوب باستقلال مصر وانتقالها من سلطنة إلى مملكة ، أما الأوضاع العملية فيما يتعلق بالاحتلال وأثاره والاستقلال ومعالمه فلم تتأثر مطلقا وقد قالت جريدة الأخبار فى التعليق على هذا التصريح عبارة جيدة لا بأس من أن نثبتها هنا .

(إن هذه الوثيقه لم تأت بتغيير أساسى للمبادىء التى عرضت فى مشروعى كيرزن وملنر) أما جريدة الأمة فقد أبدت عدم استطاعتها فهم ماتريد انجلترا من التحدث عن الأقليات ورأت فى ذلك خفا مظلما ، وقد رفع الأمراء إلى السلطان عريضة عبروا فيها عن رأيهم فى التصريح فقالوا أنه لم يغير مركز مصر من الوجهة السياسية العملية .

صفحات الاحتلال وآثاره

تنقل الاحتلال فى ثلاث مراحل :

(١) الأولى احتلالا سافراً باطشا قاومته الأمة مقاومة صريحة كاملة أو قد نار وطنيتها مصطفى كامل ومحمد فريد .

(٢) الثانية حماية غليظة سوداء - كممت الأفواه وحطمت القوى وشلت الهمم ، وسحقت الشعب ، وأجاعته وجردته من خيرات وطنه .

(٣) الثالثة لون جديد من الاحتلال بعد الثورة ، وتصريح ٢٨ فبراير هو تسلط المستبدين من الزعماء والحكام على وطنية الشعب واضطهاده ونقل القضية من ميدان الوطنية المجاهدة إلى ميدان مناورات السياسة ومساومات المفاوضة .

وفيما يلى تلخيص لصور مختلفة من هذه المراحل الثلاث :

(١) اشترى الانجليز أسهم قناة السويس ، اشتراها درزائيلى اليهودى سنة ١٨٧٥ وكانت أولى الخطوات الايجابية فى وضع يد انجلترا على مصر وقد خالفت بذلك أبسط قواعد الاقتصاد إذ أن هذه الأسهم عرضت للأفراد وليس للدول وكتبت جريدة التيمس فى ٢٦-١١-١٨٧٥ يقول (إن من المستحيل أن نفكر فى شراء أسهم قناة السويس منفصلا عن علاقة انجلترا المستقلة بمصر

(٢) تهديد اسماعيل بعزلة وتوليه الأمير حليم ، وقتل اسماعيل باشا صديق المفتش لأنه كان يدافع عن خراب مصر ، قتله لم يعرف إلى الآن تفاصيلها التى أحيطت بالكتمان الشديد وقد أنعم على قاتله بلقب (سير) وطنطنت التيمس بعد قتله فقالت (لقد كان اسماعيل صديق زعيم حزب يقاوم النفوذ الأوربى وكل تقدم للمدنية فى البلاد ، إن سقوط المفتش ليعد من أقوى دواعى النجاح) نعم : أقوى دواعى النجاح للانجليز ، للمستعمرين الذين يسحقون كل من يحاول أن يقف وقفة غيره فى سبيل وطنه .

(٣) كانت سنة ١٨٨٢ من أشد الأيام سواداً وحلكة على تاريخ مصر وعلى الوطنية وعلى الكرامة ، فقد بدأت انجلترا احتلالها بحجة واهية ، هى تثبيت عرش الخديو وقد ادعت بأنها لا تبغى بعد ذلك بقاء فى مصر ، ولكنها عمليا كانت تعمل على تثبيت قواعدها وتركيز قدمها فى مصر لتشرف منه على الامبراطورية الأفريقية وعلى الشرق الأوسط كله .

(٤) بسطت سيطرتها المالية والحربية والادارية بشكل واضح فى إلغاء الجيش الوطنى وتكوين جيش برئاسة(سردار) انجلىزى ووضعت على رأس البوليس قومندان انجليزى . وسيطرت على الماليه بإلغاء المراقبة الثنائية وتعيين مستشار مالى انجليزى وبقى جيش الاحتلال فى مصر يهدد دائما بإلزام الحكومة باتباع أوامر انجلترا التى ترد باسم نصائح وألغى الدستور والمجلس النيابى واستبدل بهما مجلس شورى القوانين وقداعتبرأعضاؤه موظفين وليسوا وطنيين

(٥) دفعت مصر تعويضات من حوادث سنة ١٨٨٢ بلغت ٤ر٢٥٠٠٠٠٠ جنيه وفرضت عليها رواتب ونفقات جيش الاحتلال وكبار الموظفين الانجليز حتى بلغ هذ العجز حوالى ٨ ملايين جنيه سنة ١٨٨٤

(٦) اتخذت انجلترا من هزيمة المصريين فى (شيكان) نوفمبر ١٨٨٣ وسيلة لتنفيذ خطتها فى اخلاء السودان ، وقد استقال شريف باشا محتجاً ، ونفذ نوبار هذا الامر الانجليزى وخان وطنه

(٧) عين الانجليز وكلاء لوزارتى الداخلية والأشغال ومستشار قضائى للحقانية وسلمت وزارتى نوبار ومصطفى فهمى بالرغبات الانجليزية تسلما كاملا ، وقد تولى مصطفى فهمى صهر سعد زغلول وأصدق الحاكمين لانجلترا الوزارة مرتين من ١٨٩١ - ١٨٩٣ ومن ١٨٩٥ - ١٩٠٨ وكان عهده أشد العهود حلكة وظلما وعسفا لمصر وتحقيقا لرغبات الانجليز وسيكتب له التاريخ أسود الصحائف .

(٨) حاول الاستعمار أن يشوه الحركة الوطنية فاتهم الحزب الوطنى بأنه صنيعة الباب العالى وأنه لا يمثل الشعور المصرى وقد جرت الوزارات فى

طريقة عدائية محضة له ، ثم شنت عليه الأحزاب المصرية بعد انشائها نارأحامية وساقت له ألفاظ التهكم والسخرية ولكنها الآن تعترف بمنهاجه وترجع اليه (لامفاضة إلا بعد الجلاء !)

(٩) تصريح للانجليزى (بلنت) عن مصر بعد الاحتلال

لقد قضينا على حرية صحافتهم بعد احتلالنا بلادهم طويلا - وأبينا أن نبر بما وعدناهم به من ترقية نظمهم وبسطنا عليهم شرطة سرية جديدة لا تالوا ضم الشعب وكسبا للدور ، واعتقالا ونفيا وتشريدا وسجنا كما كان يفعل بهم فى أسوأ أيامهم الأولى ، فاذا طالبونا بالجلاء عددنا ذلك تمردا منهم ، وأنذرناهم بأن نرجع إليهم إذا لم يفد هذا الضغط القليل إلى الحكم العسكرى الصريح

(١٠) خلت البلاد فى العشر سنوات الأولى من الاحتلال من روح المقاومة وتعاقبت على الأمة وزارات الاحتلال ودب الفساد والتحلل فى النفوس واستشرى الغش والنفاق وألغى الدستور وسلخ السودان وحوربت الصحافة وحل المدرسون الانجليز بدل المصريين ، واستعبد التاريخ القومى الصحيح وأمات التعليم الاستعمارى الشعور الوطنى وطبع بطابع الولاء للاحتلال

وسيطر الانجليز بالمندوب والمستشار والامتيازات والمحاكم المختلطة والشركات التى وصلت رؤوس أموالها ٣٠٠ مليون جنيه وأصبح للأجانب إلى سنة ١٩٤٠ $\frac{٣}{٥}$ أراضى مصر ملكا ورهنا

(١١) سياسة الانجليز كلها دس وتفريق بين الشعب والحكومة ، بين القصر والحكومة بين أبناء الطوائف والأديان ، بين طبقات الشعب بالأحزاب ، مقاومة التقدم والنضوج ، محاربة روح اليقظة والكفاح ممثلة فى الصحف والهيئات

(١٢) قدم بعض الأعيان إلى قواد الجيش الانجليزى سنة ١٨٨٢ الهدايا ، واحتفل الانجليز بساحة عابدين بعيد ميلاد الملكة فيكتوريا برئاسة افلن بارنج (كرومر) واستعرض الخديو عباس الجيش الانجليزى وأنعم عليه بالرتب والنياشين

(١٣) الاستعمار له وجهين فى النظر إلى الأمور ، وجه بالنسبة لأصحابها ووجه آخر بالنسبة لغير أصحابها ، ولتفسير ذلك نقول ، إن الرئيس ولسون

أعلن حق تقرير المصير والحقوق الأربعة عشر ودعا هذا الرجل للحرية وللدفاع عن حقوق الأمم الصغيرة بقوة وحرارة وقال إنه لا سيد ولا مسود وأن لكل دولة الحق فى أخذ حقها الكامل من الحرية ، ولكن هذا الرجل كفر بما قال ، وأنكر ما أذاع عند ما امتحن بالتجربة ، فقد اعترف جهاراً بأن لإنجلترا الحق فى احتلال مصر وهذا نص البرقية الواردة لمصر فى ٢٢ / ٤ / ١٩١٩ من أمريكا

« اتشرف بأن أبلغكم أن رئيس الجمهورية يعترف بالحماية الانجليزية على القطر المصرى وهى الحماية التى طبقتها حكومة جلالة الملك فى ٨ - ١٢ ١٩١٤

إلى الجحيم أيها المستعمرون ؟

(١٤) حاول الانجليز أن يشوهوا ثورة ١٩١٩ وأدعوا بأن أصابع معينة أثارتها ، وكان هذا كذب وخداع فما كانت ثورتنا وليدة أى مؤثر آخر ، ولا بقيادة أى زعيم ، وإنما كانت وليدة الشعور الصادق الدافق ، بيد أن الشعب لم يكن قد تكامل وعيه الوطنى فترك الزمام للزعماء فأفسدوا ثمار هذه الثورة . ولو تمسك الشعب بزمام ثورته لهز الدنيا ونال حقوقه كاملة غير منقوصة ولما وصلنا إلى ماوصلنا إليه اليوم من مطاولة كلها ظلم واجحاف ومن تسليم القيادة للزعماء العجائز الرجعيين الذين لا يؤمنون بالجهاد ويركنون إلى المفاضة ويرون ضرورة التعاون مع الانجليز ، أولئك الذين نشأوا فى مدرسة الاستعمار فانغرست فى قلوبهم بذور الخوف من الانجليز وقد نسو أن انجلترا اليوم أضعف ماتكون قوة وأسوأ ماتكون حالا

(١٥) كان (١) للثورة أبناء أوفياء أكلتهم وذهبوا فى خوف الزمن لا يكاد يعرفهم أحد أو يذكرهم أحد ، إن هناك عشرات الألوف من الجنود المجهولين ، أقاموا هذه الثورة وجعلوا من أرواحهم ومن دمائهم ومن أموالهم وجهودهم وقودها ، ولكنهم ذهبوا وأعدموا أو سجنوا أو أرغموا على الاختفاء فى عالم النسيان وفاز بغنائم الثورة سواهم أولئك الذين لم تستفد مصر منهم شيئا ، بل ربما كان منهم عدو الثورة وجلادها ولكنهم اليوم يصافحون الشمس وبين أيديهم مقاييس الوطنية ومصاير الشعوب .

---

(١) محمد على غريب (أخبار اليوم)

(١٦) فقد الوطن حريته وكرامته وخلقه وثروته وقوته وجيشه وعدته وتولدت مع الحياة الجديدة مطامع وأصبحت السياسة مهنة والحزبية وسيلة لكراسى الحكم وبعد أن كانت يد الاحتلال ظاهرة اختفت هذه اليد وراء الستار وحركت الشخوص على المسرح فحاولت تغيير جوهر الدستور والاحتفاظ بشكله كما حدث ١٩٣٠، وتدخلت فى أعمال الوزارات وإقالتها، وخلقت الأزمات الوزارية، وتدخلت فى ٤ فبراير ومنعت قانون محاكمة الوزراء وحماية الدستور وقانون اللغة العربية وقانون الزكاة وقانون الشركات عن أن يرى الشمس واستطاع الانجليز الماكرون أن يكون لهم فى كلا الجانبين موضع، فهم مع المضروب باكون ومع الضارب محرضون (١) واستغل بعض الزعماء إثار الثورة لمصلحتهم لا لمصلحة الوطن ورأينا هؤلاء الذين جاهدوا وصابروا وصبروا قد أقصوا عن الميدان وأوذوا، وطفا على السطح من حجب الحقيقة وطمس الكفايات واستغل كل شيء لنفسه ولأنصاره.

(١٧) إغرانا الانجليز بالإسراف والتبديد، ووضع كل القوى والأموال فى أتون المتعة والشهوات فانهكت قوانا الحسية والمعنوية وانصرف الناس إلى شئونهم الخاصة ووقفوا من السياسة والحقوق الوطنية والحركة القومية موقف المحايد المشرف المتفرج وعلمهم الاستعمار إن هذه المسائل (سياسة عليا) لا ينبغى أن ينشغل بها غير السلطان والوزراء، وبذلك لم تجد الحركات الوطنية صدى، فضلا عن الاقتناع الذى ساد الناس بأن حياتهم الخاصه وأمورهم أهم فى نظرهم من أمور الأمة وحقوق الوطن وهذا مما قصر بهم عن الكفاح وجعلهم يتزوون فى البيوت فى أوقات المحن وينشغلون بالمتع الخاصة.

(١٨) خدعنا الانجليز بخدعتان كبيرتان: خدعة الحكم وخدعة المفاوضة فقتلوا روح المجاهد، وخلقوا بدلا منها مناورات السياسى - وروح المجاهد إيمان

---

(١) الأستاذ الباقوري (الاسبوع)

وقوة وحق كامل ، أما منـــاورات السياسى فهى ضعف وهواده ومساومة وتفاهم ومراوغة وتملق ، ولم نر هذه الروح القوية العارمة التى تفرض على الزعماء عدم قبول الحكم وجندى انجليزى واحد فى أرض الوطن ، أو عدم قبول أى انتخابات برلمانية فى ظل الاحتلال .

(١٩) قامت المفاوضات بين مصر وانجلترا على المحالفة بينهما وهو أمر لم يطالب به مصرى واحد ولم ينادى به وطنى واحد وقامت المفاوضات فى ظل التسلح من الجانبين من جانب الانجليز بجيوش الاحتلال ومن جانب الحكومة بوليسها الذى يطوق الجامعات والأحزاب ودور الصحف .

(٢٠) كان تصريح هور فى نوفمبر ١٩٣٥ ذا دوى عنيف فقد صرح هذا الاستعمارى الظالم بأن مصر ليست جديرة بالحياة النيابية ولا بالاستقلال وقد ثار الشباب ثورة عنيفة انتهت بعودة دستور ١٩٢٣ ثم عقدت معاهدة ١٩٣٦ وهتف بعدها الأذناب بحياة انجلترا وحملوا السفير على الأعناق ومرت بالوطن أقسى ألوان الظلم والعسف إبان الحرب ٣٩ - ١٩٤٢ إذ فرضت الحزبية الظالمة الجاهلة الإخلاص لانجلترا حتى عد من يخرج عنه من الطابور الخامس أو من أنصار المحور أو خارجا على النظام وقدمت مصر أعراضها للترفيـــة عن الجنود وباعت هذا العرض المصرى رخيصا فى سوق الرقيق الأبيض لأبناء التيمس وسحقت بذلك الكرامة المصرية ولطختها بالطين والوحل .

وكان هذا الترفية تنفيذاً حرفيا دقيقا لمعاهدة ١٩٣٦ .

حتى إذا انتهت الحرب وقام الشعب يطالب برد حريته المسلوبة صرح تشرشل أن من الجنون الجلاء عن مصر وضرب الانجليز الشباب الطاهر الحر بالرصاص من النوافذ والشرفات وديس باللوريات وقتلت هذه الفورة والحماسة بمشروع جديد لا يقل شراً عن سابقه كمت له الأفواه ، وقصفت الأقلام ، وسجن الأحرار . .

وبعد إن كان هذا الاحتلال طغيانا استعماريا أصبح بمعاهدة ١٩٣٦ وما بعدها

حقا شرعيا وأبعد لفظ الاحتلال وبقي معناه وتأكد حق انجلترا فى اتفاقية ١٨٩٩ الباطلة بمعاهدة ١٩٣٦ وأتيح للانجليز بمشروع ١٩٤٦ العمل على تمزيق وحدة وادى النيل باسم وحدة وادى النيل .

(٢١) استطاع الانجليز أن يوعزوا من وراء ستار بمنع حسن البنا وصالح حرب وعلى البرير من دخول البرلمان .

(٢٢) فرض الانجليز على هذا البلد قانون التجمهر رقم ١ سنة ١٩١٤ ووافق مجلس النواب على الغائه فى ٢٠ / ١٢ / ١٩٢٧ ولكن لم يصدر للآن قانون بمشروع الالغاء .

وفرضوا قانون الاجتماعات العامة والمظاهرات (قانون ١٤ لسنة ١٩٢٣) وهذه قوانين صنعها الانجليز رغبة فى كبت الشعور الوطنى وخنق صوت الشعب وقد فرضوها فى وقت عصيب ، وفى ظرف الحماية والنفى والتشريد .

والعجيب أن هذه القوانين وضعت لتطبق على الأحرار الذين يناهضون الاحتلال الغاشم ولعقاب الوطنيين الذين يظهرون شعورهم فى أوقات الحرج رغبة فى كبت هذا الشعور وتكميم هذه الأصوات .

وبقاء هذه القوانين سبة عار فى جبين مصر التى تعتبر نفسها حرة مستقلة . ولا ندرى كيف يمكن أن تكون هناك حرية ومدنية وهذه القوانين ما تزال قائمة تكبت مشاعر الجماهير ، وتمكن للحاكم من فرض القيود على الشعور الوطنى . ولعل أصحاب الأمر يدرسون نفسية الشعب ويعرفون أن بقاء هذه القوانين قد يكون سببا فى مضاعفات شديدة فضلا عن أن الحرية المكفولة بمواد الدستور تتنافى مع بقاء هذه القوانين ويقضى واجب الكرامة إلغاء هذه القوانين وتحرير الشعب من قيودها .

(٢٣) اعتبرت مصر منذ احتلالها حقلا خصيبا لأموال الأجانب وجعلت تربتها وخاماتها وسائل لاستثمار هذه الأموال على شرط أن يثرى منها الأجنبى ويتضخم ويظل المصرى هو العامل وهو الفقير وهو الذليل .

وقد أسست مئات الشركات وظفرت بالاحتكار وفرضت سلطانها على الشعب واتخذت من الامتيازات حصانات قوية .

(٢٤) الميدان الاقتصادى كله محتل بالمصانع الضخمة والثروات الكبرى والغنى الفاحش ، وقد أدركت الحرب هذه المصانع والثروات فأزدادت تضخما وانتفاخا ، ووقفنا نحن من وراء الصفوف نلتقط فتات الموائد ، فقراء تعساء إجراء ، لاقدرة لنا على الإنشاء والتأسيس والمنافسة .

(٢٥) حورت هـــذه الشركات وتسمت بأسماء مصرية واستغلت كبار المصريين فادمجوا فيها أعضاء بمجالس الادارات حرصا على نفوذهم الشخصى فى قضاء المصالح ولم تقف الشركات عند هذا بل استعانت بالسفارات والمفوضيات على شل القوانين وتعطيل الشريعات التى تحفظ الكرامة والعزة المصرية وقد أوقف قانون اللغة العربية وقانون الشركات .

الدستور

(١)

(عن القاموس السياسي للأستاذ أحمد عطية الله)

« هو مجموعة القواعد الأساسية التي تقرر النظام الحكومي للدولة وسلطة الحكومة وطريقة توزيع هذه السلطة وكيفية استعمالها »

وللدستور شأن لا يكون للقوانين العادية حتى يكون في مأمن من خطر الأهواء الحزبية ، ولذلك لا يمكن أن ينال بالتعديل أو التغيير إلا عندما تدعو أقصى الضرورات ، وقد جعل الدستور الحكم الفعلي في يد هيئة من الناس ممن تتوافر فيهم كفايات خاصة لهذه المهمة وهي الحكومة ، وأخضع الحكومة لرقابة الرأي العام الذي يمثله أعضاء البرلمان

وينقسم الدستور إلى ثلاثة أقسام :-

(١) خاص بحقوق الأفراد وواجباتهم

(٢) خاص بنظام الحكم في الدولة

(٣) خاص بتعديل الدستور » ا هـ

(٢)

(عن كتاب سعد زغلول للأستاذ العقاد)

« كانت الوزارة وأنصارها يقررون المبادىء التي تلائمهم في الدستور وهي مبادىء التبعة الوزارية ، والاعتراف بالأمة وحدها ومصدر السلطات بدلا من حصر السلطة الدستورية في أيدي الملك ، وهو الجانب الذي كانوا لا يأمنونه ولا يرجون منه المساعدة على نجاح الخطة المرسومة وجريانها في ذلك المجرى المعلوم ، وكان يشايعهم المخلصون من أعضاء اللجنة الذين لا ينظرون إلى

المآرب الحزبية ، ويؤثرون المبادىء الديمقراطية فى الدستور على مبادىء الاستبداد فاستفاد الدستور كثيرا من حيطة الوزارة وإخلاص المخلصين وجاء على الجملة دستورا لا بأس به فى القواعد والنصوص

ولكن الملك فؤاد كان يريد الدستور على غير هذه القواعد فيما يرجع إلى التبعة الوزارية ومصدر السلطات ويحمل ما يريده فى هذا الباب أن تكون الوزارة مسئولة بين يديه ولا ينص فى الدستور على أن الأمة مصدر السلطات جميعا فتوترت العلاقات بين القصر والوزارة الثروتية ولاح فى الأفق أن الملك يترقب الفرص التى يتخلص فيها من تلك الوزارة . .

. . . ثم قامت الوزارة النسيمية وغرضها الأول تعديل(١) الدستور وتوسيع حقوق الملك فى التبعة الوزارية وتعيين أعضاء مجلس الشيوخ

أما وسيلتها إلى هذه الغاية فهى التقرب من الوفد واسترضاؤه بما يجنح به إلى السكوت عن التعديل المقصود ، فلا يرى الانجليز وجها للاعتراض مع موافقة الملك والشعب على المبادىء الدستورية التى يستقر عليها القرار ثم استقالت الوزارة النسيمية لأن الانجليز تخطوها ووجهوا إلى الملك إنذارا يطلبون فيه حذف النص الخاص بالسودان فى الدستور والاكتفاء فيه بلقب ملك مصر بدلا من ملك مصر والسودان فقبل نسيم باشا هذا الطلب واستقال بعد قبوله وتنفيذه . . . اهـ

<u>لجنة تحضير الدستور</u>

(١) انتقدت حكومة ثروت بشدة من الصحف المعارضة للحكومة لاقدامها

---

(١) المبادىء التى مست بالتعديل

(١) سلطة الامة (٢) اشراك الوزارة فى الانعام بالرتب والنياشين (٣) اقتصار حق الحل على مجلس النواب دون مجلس الشيوخ (٤) أبقاء عدد الشيوخ المعينين دون عدد المنتخبين (٥) اشراك مجلس الشيوخ فى تعيين رئيسة (٦) عدم اصدار مراسيم دورية اثناء انعقاد البرلمان قبل عرضها عليه

على تحضير مشروع الدستور ووضع قانون الانتخاب بمعرفة لجنة تنتخبها هى، وتعمل تحت إشرافها قائلة أن الواجب يقضى بتحضير كل ذلك بمعرفة جمعية وطنية تنتخب لهذه الغاية ، وبلغ الشقاق حده لهذا السبب بين الحكومة وبين الوفد ، وكانت الحكومة تخشى أن تنقلب هذه الجمعية إلى معاوضة وتعطيل تمتنع معه كل نتيجة صالحة وذلك بنص خطاب ثروت فى الجمعية التشريعية (١)

(٢) اجتهدت الحكومة فى تمثيل كل الاحزاب والطبقات فوجهت الدعوة إلى عدد كبير من ذوى الكفايات فى جميع الأحزاب ومن جميع الطبقات المتعلمة بلا تمييز (٢) للاشتراك فى مشروع وضع الدستور فأبى فريق المعارضة تلبية الدعوة ، وكان الأولى بالمعارضة الاشتراك لأن تطبيق الدستور بعد وضعه سيكون على الجميع بلا تمييز

(٣) صرح ثروت بأن الوزارة لا تريد أن تتحمل وحدها تبعه وضع الدستور ولذلك دعت أكثر من ثلاثين مصريا من ذوى الكفاءة بصرف النظر عن أحزابهم السياسية لمعاونتها ، من الوزراء ورجال القانون والعلماء والأعيان والعربان .(٣)

(٤) كان تصريح ٢٨ فبراير (حقنة مخدرة) للشعور الوطنى أرادبها الانجليز أن تواجه مصر لونا جديدا من الحياة بعد رفع الأحكام العرفية ،وكان ووضع الدستور فى ظل الاحتلال معناه السيطرة التامة عليه ولذلك لم يقبل الحكومة

---

(١) فى ١١ – ٤ – ١٩٢٢

(٢) رواية أحمد شفيق باشا فى الحوليات

(٣) الاعضاء الذين اشتركوا فى لجنة الدستور مع حفظ الالقاب : حسين رشدى – منصور يوسف – عبد الحميد البكرى – محمد توفيق رفعت – يوسف سابا – حسن رشدى – أحمد حشمت أحمد طلعت – محمد نجيب – قلينى فهمى – ابراهيم الهلباوى – حسين هيكل – الياس عوض – على ماهر – حسن عبد الرزاق – عبد اللطيف المكباتى – توفيق دوس – يوسف أصلان قطاوى – محمد على علوبة – صالح لملوم – محمد متولى – أحمد صادق – أحمد أمين – محمد أمين عبد المنعم – ابراهيم أبو رحاب – عبد العزيز البشرى – زكريا نامق – محمود أبو النصر محمد خيرت راضى – عبد الحميد بدوى – على المنزلاوى – عبد العزيز فهمي – محمود صادق

بأمر الانجليز ـ أن تعهد إلى جمعية وطنية بمهمة تحضير الدستور لأن الانجليز يرمون إلى غاية يخشون أن لا يصلوا إليها إذا قامت جمعية وطنيه بتحضير الدستور قبل عقد الاتفاق بين انجلترا ومصر

(٥) كثرت الاحتجاجات من الحزب الوطنى والحزب الديمقراطى ومجالس المديريات وكان الرأى العام كله مضاد لسياسة ثروت ، ناقما على أعمال وزارته سواء فى ذلك المنتمون إلى سياسة الوفد أم المنتمون إلى سياسة الحزب الوطنى

(٦) بدأت اللجنة عملها فى ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٢٢

العقبات فى طريق الدستور الكامل

(١) تأخر إصدار الدستور بسبب المفاوضات الدائرة بين الحكومة المصرية ومندوب انجلترا وذلك بشأن الانذار الذى تلقاه (اللنبي) من الحكومة الانجليزية وقد جاء فيه أنها لا توافق على ذكر السودان فى مشروع الدستور المصرى ، وتظل حقوق مصر محفوظة إلى أن يتم الاتفاق عليها فى المفاوضات بين مصر وانجلترا ، وادعت وزارة خارجية انجلترا أن المادتين الخاصتين بالسودان فى مشروع الدستور تعتبر انكاراً لاتفاقية ١٨٩٩ وخروجا على تصريح ٢٨ فبراير وفصلا فى أمر السودان من جانب مصر وحدها

(٢) سلم المندوب هذا الرد إلى جلالة الملك مباشرة وطلب منه الرد إما بالرفض أو بالقبول فى مدى ٢٤ ساعة أى عند ظهر ٣ فبراير ١٩٢٣ وتقول الصحف أن هذا الرد يعتبر انذاراً يتضمن التهديد بالرجوع إلى حكم الحماية وإعلان ذلك رسميا ، ثم الغاء اتفاقية ١٨٩٩ وضم السودان إلى انجلترا ، وفوق هذا كله تكون انجلترا حرة فيما ترى أن تتخذه نحو العرش ومصر . . . ؟

وهناك قرائن تدل على أن الجنود الانجليز تلقو فى ذلك اليوم أوامر معينة

(٣) اجتمع الوزراء فى سراى عابدين وقرروا التبديل فى النص بدل الحذف التام وتم الاتفاق مبدئيا على أن المادة التى تنص على ملك مصر والسودان ترفع منها الآن (السودان) إلى أن يتقرر مركز السودان نهائيا (١)

---

(١) المادة ١٤٥ تحذف منها كلمة (السودان جزء من مصر) ويوضع بدلا منها (وتطبيق قواعد الدستور على مصر لا يمس ما لمصر من الحقوق بالسودان)

(٤) أصدر الوفد (١) بيانا جاء فيه (والأخبار متواترة عن وقوع أمور خطيرة فى شأن الدستور فانهم يؤكدون أن هناك أخذ ورد بين الوزارة والانجليز يتعلق بالنص الخاص بالسودان ، وأن الوزارة قد أدخلت من جهتها تعديلا جديدا على نص المشروع يقضى بزيادة عدد الأعضاء المعينين فى مجلس الشيوخ إلى النصف وتقرير مسئولية الوزارة أمامه ، فأما حذف النص على السودان فانه يكون نكبة وطنية كبرى لاتستطيع أى وزارة مصرية أن تتحمل مسئوليتها الخطيرة ، كما أن الأمة التى تتمسك بحقها فى وضع الدستور والتى أعلنت سخطها على المبادىء الرجعية التى تضمنها مشروع الدستور قبل عرضه على الوزارة تستنكر أشد الاستنكار كل محاولة ترمى إلى هذه التعديل خصوصا ما كان منها متعلقا بالمسئولية الوزارية إذ فيه قضاء على سلطة الأمة .

(٥) وقعت الوزارة فى أزمة بسبب ضغط الشعب عليها يستحثها على سرعه إصدار الدستور ووقوف مندوب انجلترا فى وجهها يمنعها من إصداره مشتملا على نص يشير إلى تقرير حق مصر فى السودان .

وكتبت جريدة السياسة لسان حزب الأحرار الدستوريين تقول : (إن العراقيل الخاصة بالسودان ليست إلا مجرد عذر عن التأخير فى التصديق على الدستور وتحويل اهتمام الجمهور عن التغييرات التى يقال أنها ادخلت على تأليف مجلس الشيوخ والتى وضعت لايجاد شكل من الحكم أكثر أوتوقراطية .

(٦) وكتب مراسل الأهرام بلندن يقول (وقد ثار غضب (اللنبى) لأن الملك ونسيم باشا رفضا أن يكونا مجردا له لينة فى يد الاحتلال وأظهرا دلائل قوية على وطنيتهما ، ولهذا السبب أخذت دار المندوب تدس الدسائس ضد الملك ونسيم باشا بلا انقطاع على أمل أعاده ثروت باشا أوتنصيت وزارة عدلية تؤيد البغى ضد الشعب المصرى)

(٧) اشتدت حملات الصحف وكثر لغطها حول التعديل الذى أدخل على

---

(١) صدر فى ٢٠ يناير

الدستور واهتمت الأحزاب بذلك التغيير كذلك ولا عزو فان السواد الأعظم من الأمه لم يكن راضيا .

(٨) فى ٢٠ مارس رفع أعضاء لجنة الدستور احتجاجا مؤرخا فى ١٩ / ٣ على التعديلات التى أدخلها نسيم باشا على المشروع ومما جاء فيه (اطلعنا فى الصحف على تعديلات قيل أنها أدخلت على المشروع الذى وضعته لجنة الدستور لجزعنا لها إذ ألفيناها تمس جوهره مساساً خطيرا ولما كنا اثناء وضع هذا المشروع قد عملنا جهد الطاقه ـ ونحن شاعرون بالمسئولية العظيمة الملقاه على عاتقنا ـ ليخرج محققا لسلطة الأمة محافظا على حقوق العرش ، ضامنا للتوازن بين جميع السلطات . . فلذلك نحتج على تلك التعديلات ونطلب أن يصدر الدستور كاملا كما وضعت اللجنة مشروعة على الأقل .

(٩) كتبت جريدة التيمس فى ٢٧ مارس تقول :

« وقد أثار الذين وضعوا مشروع الدستور البحث فى مسئلة مستقبل السودان السياسى بتلقيبهم الملك فؤاد ملك مصر والسودان . .

لم يعترف مفاوض انجليزى وليس فى وسع أى مفاوض انجليزى أن يعترف بهذا الحق لمصر ، وقد توقى (ملنر) الحذر فاستثنى فى خطاب خاص تطبيق أى مقترح من مقترحاته على السودان . . . وإذا كان الزعماء المصريون يسعون لحل مسئلة السودان شرطا مقدما على نشر الدستور فان النتيجة الوحيدة لذلك هى أن تلغى انجلترا تصريح ٢٨ فبراير كله بما فيه من التحفظات والحكم الذاتى فتعود مصر إلى ظل الحماية .

(١٠) حملت الصحف الانجليزية على سياسة القصر (١) حملة شديدة واتهمته بميله إلى الأتوقراطية (حكم الفرد) الأمر الذى كان سببا فى تأخير صدور الدستور ونسبت إلى عماله أنهم يبذلون قصارى جهدهم لكى يحولوا التيارات المتعارضة من الآراء السياسية لفائدته وأنهم لا يستنكفون من استخدام المتطرفين الخطيرين فى سبيل بلوغ غاياتهم .

---

(١) الجزء الثالث من الحوليات

وطبيعي أن هذا محض خطأ وباطل، اندفعوا له بالنعرة الاستعمارية فقد كان في نية الانجليز استرداد هذا الحق أو إفساده ولذلك عملوا جاهدين على أن يضعوا أيديهم الآثمة في حقوق الملك فضلا عن أنهم حالوا دون توضيح حدود الوطن وعلى سير النص الصريح على أن السودان جزء لا يتجزأ من مصر، وظهر أصبع الانجليز واضحا في نصوص الدستور.

(١١) كتب الأستاذ محمود عزمى في جريدة السياسة يقول:

إن لجنة الدستور قد عملت أولا على تقرير حقوق الأمة وسلطتها الكاملة. أما وزارة نسيم باشا فقد عملت بروح رجعية لنزع كل سلطة مقررة للأمة محاولة إقرار التحكم والاستبداد.

ثم ارغمت الظروف وزارة يحيى ابراهيم على التوفيق بين مختلف الأهواء ومتعدد المصالح ومتناقض النصوص، ثم استخلص الكاتب إلى أنه من الطبيعي أن تكون النتيجة لذلك أن يشمل الدستور عيوبا تجعله في بعض نواحيه مستحقا لأن ينعت بالدستور الهجين (١)

الدستور والسودان

(١) كانت لجنة الدستور قد وضعت مادة في صلبه تلقب فيه جلالة الملك ملك مصر والسودان فقامت قيامة الصحف الانجليزية على ذلك وقالت إن مسئلة السودان من المسائل المحتفظ بها للمفاوضة المقبلة بين الحكومتين، وإن تلقيب جلالة الملك فؤاد بهذا اللقب تعرض للموضوع المحتفظ به وبت في أمره من إحدى جهاته كما أسلفنا بيانه، وكانت الحكومة ترى رأى لجنة الدستور من أنه لا ينبغي تعديل هذه النقطة الجوهرية واتخذت - كما يقول الحوليات - مسألة جعل السودان جزء لا يتجزأ من مصر شكلا حاداً كان موضع أخذ ورد في الصحف والأندية.

---

(١) حوليات مصر

(١) ما قالت الصحف الافرنجية ما يأتي (ويراقب الوفديون مع أعضاء الحزب الوطني في مصر هذه التطورات باهتمام شديد ، وهم يعلمون أنه إذا حزفت من الدستور المادة المتعلقة بالسودان فإن وثيقة الدستور يجب أن تعترف بأن الملك فؤاد ملك مصر فقط ، وهم يرجون أن يرفض الملك التصديق على الدستور خصوصا وأن الرأى المصرى يؤيد بأغلبية ساحقة الاعتراف بالسودان كجزء من مصر المستقلة وقد كانت هذه النقطة بالذات سبباً في الأزمة الوزارية التي أطاحت بوزارة ثروت .

(٢) وقد وجه الدكتور محجوب ثابت إلى لجنة الدستور خطاباً بشأن السودان نرى أنه من الخير إثباته هنا ، جاء فيه :

الا أسألكم بحق دماء إخوانكم الذين رووا ثرى السودان ومجاهل أعالي النيل، أسألكم بحق آلاف الأرواح التي استشهدت مع هكس وبيكر وغردون وعبد القادر ومن قبل مع الأمير إسماعيل باشا في شندى . أسألكم إن أردتم أن تؤدوا واجبا عليكم لهذا الوطن المفدى هو أن لا تتركوا تحديد بلادكم، وكونوا على أشكاله أغلبية واضعى الدساتير وحددوا قطركم المصرى أيام اسماعيل الكبير وابنه الخديو توفيق باشا واطلعوا على خرائط بلادكم قبل الاحتلال .

كانت حدود السودان المصرى حتى سنة ١٨٨٢ حسب التقرير الرسمى كما يأتى :

« يبدأ الخط برأس نباس على ساحل البحر الأحمر إلى نقطة غير معينة من صحراء ليبيا والصحراء الكبرى ، هذه النقطة تتجه إلى مقابلة الزاوية الجنوبية الغربية من دارفورد ثم ينزل مستقيما إلى الجنوب ثم يتجه إلى الشمال ماراً بإقليم البرت نيانزا إلى فكتوريا نيانزا إلى الدرجة الخامسة تقريبا تحت خط الاستواء ثم يصعد إلى الشمال الشرقى فيصل إلى الأقيانوس الهندى ماراً برأس غردفوى شاملا مديرية هرر وزيلع وبربرة ومصوع وسواكن ثم يبلغ شاطىء البحر الأحمر حتى رأس نباس . . . »

فتمسكوا بالحدود القديمة وعضوا عليها بالنواجز ولا تفرطوا فيها ولا تغفلوا عن تأييدها فاننا لا نفهم كيف يجمع قوم منا بين حسن نية الانجليز الذين

يريدون بتر جزء منها لا يتجزأ ، هذا هو جزء القلب ، الجزء الأساسى الرئيسى الذى منه مورد الحياة لوطنكم وتشبثوا فى وجوب التمسك بالسودان تمسكا تاما فان الساعة رهيبة والأنباء كثيرة ورهيبة بفصل السودان عنا

لو أجلتم الطرف فى خريطة اسماعيل أو خريطة مصر قبل الاحتلال أو حوالى سنة ١٨٨٤ ورأيتم هذا الوادى تخفق على كل طوله علم مصر من ضفاف فكتوريا نيانزا مرفوعا بجوار قصر متزا سلطان الاوغندا إلى الاسكندرية وترونه الآن يراد إزالته من السودان كما أزيل فى عصر الاحتلال من مديرية خط الاستواء (الأوغندا) ومن زيلع وهرر وبربرة ومصوع . .

لا تتركوا أيها الأعضاء المحترمون تحديد القطر المصرى بسودانه .

واجب على الوزارة أن تحصل على الاعتراف ببطلان اتفاقية السودان ١٨٩٩ تلك البدعة السياسية المضللة .

ما كانت مصر لتحتمل ما تحملت من أعباء الصرف على السودان وترقيته والسهر على الأمن فيه وكل ما به وتقدمه ورفاهيته بعد إخماد ثورة المهدى (ويعلم الله من موقد نارها حتى صرنا لها حطبا) فقد بلغ مجموع ما صرفت المالية دون تردد نحو الخمسين مليونا تقريبا من الجنيهات فى شئون السودان وإصلاحه بعد استرجاعه ليكن لكم ما قاله كرومر عبره حين فكروا فى إخلاء السودان

، لا فائدة من السودان لمن يملكه . . وقد كان ذلك فى الماضى ويبقى كذلك فى المستقبل ، وذلك تمهيدا لاخلائه منا لاستيلاء الانجليز .

ثم رد كرومر على من يقول بأن استرجاع السودان ليس من مصلحه مصر وعلى من يستنكر استمرار مساعدة الماليه المصرية المتزايدة : قال (إن السودان ليس عديم الفائدة لمصر بل فائدته لا تقدر بمال فان من ينظر إلى خريطه أفريقيا نظرة واحدة يرى الاتصال التام بين مصر والسودان ، وهذا الاتصال هو السبب الذى حمل الحكومتين المصرية والانجليزية على استرجاع السودان) .

كما أنه لا ينسى قول كرومر (إن التحكم بماء النيل لازم لخير مصر)

إن مسألة النيل هى المسألة المصرية الواجب الاهتمام بها .. لأننا استعملنا رجالنا فى الآلاف الكيلو مترات من الطرق الحديدية وبناء المدن والمرافق وكل ما نراه الآن قائماً من بناء فخم أو قصر مشيد فان المصرى وذراعه هما اللذان أقاماه وشاداه ، وبعد ذلك تسمع من بعض ساسة الانجليز بأن مصر ليس لها فى السودان إلا حقها فى الماء :

الماء مـــاء أبى وأمى ونيلى مذ ولدت ومذ ربيت

هذا كلام يقوله المصرى منا وأخوه السودانى على السواء فهما إخوان يستقيان بماء واحد .

إن مصر ما كانت يوماً ما حائلا دون تقدم السودان ورقيه كما يريدون أن يفهموا إخواننا السودانيين ويلصقونه بنا زوراً وبهتاناً فلا يمكن أن ينكر علينا لحمة النسب ولحمة القرابه ولحمة الدم من أبناء فراعنة وعرب من ساكنى النيل بمصر أو سودانه . .

قول تؤيده مباحث علماء الآثار والأجناس البشرية فى القديم والحديث (سبيروا ونافيل وتيرى) فلا تلتفتوا أيها السادة إلى خطب قيلت فالقوم تحت الأحكام العرفية منذ أربعة وعشرين سنة ، وأنتم أدرى بهذه الأحكام وفعلها خذوا فى دستوركم السودان إلى فكتوريا نيانزا كما كان مدة أسماعيل وكما نطقت به الفرامات له ولابنه وحفيده مصدقا عليها من الدول وفى مقدمتها انجلترا .

واختم قولى بكلمة المهندس الكبير الكولونيل السير سكوت منكريف فى خطاب له بالمجتمع العلمى الملكى بلندره فى أول أكتوبر ١٨٩٥ قال

(إذا ما وضعت أمة متمدينة يدها على أعالى النيل فبطبيعة الحال ستقيم سدوداً فى طريق رسول فيكتوريا نيانزا (النيل) لتنظيم ماء هذا البحر الخضم وضبطه ، وتلك أعمال سهلة الإجراء إذا ما حققت مرة فيما يجرى فى النيل يكون وفقاً لرغبة هذه الأمه المحتلة فاذا ما جر سوء الحظ مصر التعسة لحرب

هذه الأمة فانها تكون عرضة للغرق أو الجدب والقحولة حسب ما يشتهى خصمها وغريمها .

(٣) واصلت الصحف الانجليزية نشر الآراء التى تنفى بها عدم أحقية مصر فى ادعاء أى حق لها فى السودان مؤكدة أن انجلترا هى التى أوجدته وانتشلته من الفوضى التى كانت ضاربة أطنابها فيه بسبب عجز المصريين عن حسن إدارته (١)

على أنه لولا القيادة والجنود والمالية الانجليزية لكان من المحتمل كل الاحتمال أن تخسر مصر السودان خسارة لا تعوض فى عهد قلاقل المهدى فى حين أن المشروعات والادارة والأموال الانجليزية هى وحدها التى جعلت السودان فى حالة رقيه الحاضر ، !! ومن هنا تعرف معنى الأصرار على الخطة المبيتة التى سميت بعد ذلك سودنة السودان ، وإعداده للحكم الذاتى وما سوى ذلك من وسائل لتمزيق وحدة الوادى .

(٤) استقالت وزارة نسيم باشا وشكلت وزارة يحيى ابراهيم باشا وهى الوزارة التى أصدرت الدستور وقانون الانتخابات وأجرت الانتخابات وفيما يلى نص خطاب من عبد العزيز فهمى باشا خاصا بالدستور إلى يحيى ابراهيم باشا .

« لست أشك فى أن أول ما يهمكم كما يهم البلاد من أقصاها إلى أقصاها هو أمر الدستور الذى رأت مصر بارقته فى عمرها مرة واحدة سنة ١٨٨١ ، والذى تشرف البلاد الآن بفضل كفاح بنيها وظروف الأحوال وحسن توجيهات مليكها على أن تنعم به للمرة الثانية .

إن هذا الدستور قد وضعت مشروعه لجنة رأسها أحد أعضاء وزارتكم وكان فيها وزيران آخران من زملائكم . . وقد قامت بعملها مراعية فيه وجه الله والوطن ووجه مليك البلاد فأقرت كل شيء فى نصابه ، وأعطت كل

---

(١) هذا الكلام له مناسبة الآن فهو يذكر بالخطوات والمناورات التى جرت عليها انجلترا للوصول إلى غايتها من فصل السودان عن مصر .

ذى حق حقه فلم تغمط الأمة حقها فى أن لها السيادة وأنها مصدر كل سلطة ولم تغمط العائلة العلوية حقها الثابت فى أن الملك فيها إلى ما شاء الله .

والآن أخشى كثير أن يخرج الدستور لا كما وضعته تلك اللجنة بل مشوها بالتعديلات التى يتناقل الناس أن وزارة نسيم باشا أدخلتها عليه .

أولا : عنيت لجنة الدستور عناية تامة بالبحث فى شأن السيادة على البلاد فرأت أنها حق للأمة وأن كل سلطة قد أصبحت الأمة مصدرها ، وأن سلطانها أضحى فوق كل سلطان فجعلت هذا المبدأ أساساً للدستور ودونته بالمادة ٢٣ من مشروعها ، لكن الناس يتناقلون أن دولة نسيم باشا غفر الله له قد حذف هذه المادة من فروع الدستور فقلبه بهذا الحذف رأساً على عقب وأصبح الدستور الذى أشار بإعطائه للبلاد مجرد منحه من العرش على أعتبار أنه لا حق فى الأصل للأمة ولا سلطان للأمة ولا سيادة للأمة .

مذهب إن كان قد صح فى نظر دولة نسيم باشا فعهدى بك وقد كنت كبير القضاة أنك فى حق وطنك أكثر معدلة وأشد إنصافا وأنك لابد قائل معى أن السيادة هى للأمة والسلطان للأمة ومصدر كل ولاية فى البلاد هى الأمة .

ثانياً : يتناقل الناس أن نسيم باشا قد عدل قانون الرتب والنياشين بأن جعل إعطاءها للأعيان من حقوق صاحب العرش وحده بلا مشاركة الوزارة (وقد كانت هذه المشاركة واجبة بمقيضى القوانين التى وضعها السلطان حسين سنة ١٩١٥) خشى أن البرلمان لا يقر هذه الجريمة وأن يعدل تلك القوانين أو يلغيها فأراد أن يسد الباب على البرلمان ويسلبه حق المراقبة فى هذا الشأن فعمد إلى المادة (٤١) من مشروع اللجنة فعدل نصها تعديلا يجعل قوانين الرتب التى وضعها دولته قوانين دستورية ، ونتيجة ذلك أن يكون للملك إنشاء الرتب وأوسمه الشرف كما يشاء ومنحها لمن يشاء من الأعيان بدون أى تدخل للحكومة ولا للبرلمان ولا مراقبة لأيهما وأن هذا سلب جرىء لحقوق البلاد الثانية لها ثبوتاً لا ريب فيه وفتح لباب واسع من أبواب الفوضى والاخلال بالنظام .

ثانيا ـ سمعت أنه حصل تعديل فيما للملك من حق حل البرلمان فبعد أن كان مشروع اللجنة يقصر هذا الحق على مجلس النواب قد رأى دولة الباشا أن يكون للملك حق حل المجلسين معا أو بالانفراد أى أنه له أن يحل مجلس النواب متى شاء أو أن يبقيه ، ويحل مجلس الشيوخ كما يشاء أو أن يحلهما كليهما انى شاء ، سلطة فى غاية الخطر ليست من مصلحة الأمة ولا من مصلحة الملك ولا أدرى كيف انساق نسيم باشا لتقريرها فانه مامن متنبه فى البلاد إلا ويدرك مبلغ مثل هذا التعديل من الخطر .

رابعا ـ سمعت أن نسيم باشا لم يكتف بتعديل كيفيه تأليف مجلس الشيوخ بل عمد إلى المادة (٧٥) من مشروع اللجنة فعدلها بأن جعل تعيين رئيس الشيوخ من حق الملك وحده لارأى فيه لهذا المجلس ، وهو افتيات على حق المجلس لا يتفق مع مصلحة البلاد ولا مع كرامة المجلس بل ولا كرامة العرش

خامسا ـ سمعت أن دولته قد أضاف إلى الدستور مادة حاصلها إن هذا الدستور لا يخل بالامتيازات المخولة للملك بصفته ولى أمر البلاد فيما يتعلق بمعاهد التعليم الدينى وبالأوقاف التى فى إدارة وزارة الأوقاف وائن صح ما سمعت لكان دولة نسيم باشا قد أراد أن يخلق للملك حقا دستوريا فيما يتعلق بالأوقاف وأن يحرم نواب البلاد من تنظيم الحقوق التى قد تكون القوانين المالية خولتها عرضا للملك .

سادسا ـ يقال إنه عدل المادة ١٤٧ من المشروع وهى الخاصة بطريقة تنقيح الدستور فمسها من وجهين الأولى زيادة الأغلبية اللازم توفرها لاقرار التعديل والثانى ضرورة تداخل الملك للتصديق على التعديل حتى فى المرحلة الأولى

ومقتضى ذلك أن كل ما ابتكره نسيم باشا من التعديلات التى سلبت الأمة شيئا من حقها سيبقى أبديا لاسبيل إلى التحلل منه . . . راجيا أن تعملوا على اصدار الدستور لا على مجرد أنه منحه بل على أنه حق ثابت للامة يصدر فى شكل اتفاق بين الأمة بواسطة الوزراء الذين هم منها وبين جلالة الملك أى بصفة عرض من رئيس الوزراء وقبول من الملك . . . (اهـ) طبق الأصل كما ورد فى حوليات مصر السياسة لشفيق باشا

(٥) أخذ على أعضاء (١) لجنة وضع الدستور إنهم كانوا بعيدين عن الروح الاسلامى والحياة الاسلامية الصحيحة فقد امتزجت حياتهم بالروح الأوربى وبالتقاليد الغربية فهم أوربيون لحما ودما وقد وضعوا لمصر دستوراً أخذوه من دساتير بلجيكا وفرنسا وغيرها ، وقد تناحر المصريون حول هذا الدستور فقوم يرونه فى وجوده مرتقى للحكم وآخرون يرون فى تعطيله مرتقى للحكم أيضا

(٦) الروح الاسلامية والتشريع الاسلامى لم يتوافر فى أعضاء لجنة الدستور وهم جماعة عاشوا فى ظل الحماية وعهد الاحتلال وعملوا تحت ضغط السلطات الانجليزية ولذلك لم ترد فيه عن الاسلام إلا المادة (١٤٩) الاسلام دين الدولة واللغة العربية لغتها الرسمية

(٧) لا يختلف الاسلام مع الدستور بل يقره من وجهة قبول النظام الديمقراطى والوضع النيابى وإقرار سلطة الأمة والمادة (١٥٦) التى تنص على أن (للملك ولكل من المجلسين اقتراح تنقيح هذا الدستور بتعديل أو حذف حكم أو أكثر من أحكامه أو اضافة أحكام أخرى ومع ذلك فان الأحكام الخاصة بشكل الحكومة النيابى ونظام وراثة العرش ومبادىء الحرية والمساواة التى يكفلها هذا الدستور لا يمكن اقتراح تنقيحها) هذه المادة تمكن للتشريع الاسلامى من أن يفيض على الدستور من روحه وأهدافه

وأن يكن الدستور لم يحقق الرغبات الكاملة لمصر والسودان ولعرش مصر والسودان ولتوجيه النظام الاجتماعى فى البلد وجهه اسلامية ولم يسلم من اليد الانجليزية ومن فرض رأى المحتلين على لقب الملك ومادة السودان وإن الذين قاموا على الدستور كانوا من دعاة الحضارة الغربية أو ممن فهم الاسلام فهماً تقليديا فان زحف الفكرة الاسلامية سيكون عاملا قويا من عوامل توجيه النظام النيابى والتشريع الدستورى فى البلد وجهة تتفق مع الشريعة الاسلامية وذلك يتفق دستوريا مع تطور رغبات الشعب وحاجاته وأخلاقه

(٨) مادة السودان ١٥٩ (المعدلة) تجرى أحكام هذا الدستور على المملكة

(١) مجلة الاخوان المسلمين : الأستاذ صالح عشماوى

المصرية بدون أن يخل ذلك مطلقا عما لمصر من الحقوق فى السودان) بدلا من المادة ١١٨ (يسرى هذا الدستور على جميع أجزاء المملكة المصرية ماعدا السودان فمع أنه جزء من مصر تحت سيادتها خاضع لملكها فان نظام الحكم منه يقرر بقانون خاص

(٩) مادة الملك (١٦٠) (المعدلة) تعين اللقب الذى يكون لملك مصر بعد أن يقرر المندوبون المفوضون نظام الحكم النهائى للسودان

(١٠) فى سنة ١٩٢٩ عطل محمد محمود باشا الدستور والحياة النيابية ثلاث سنوات (تفصيل ذلك فى كتابنا القادم (الأحزاب السياسية والزعماء)

دستور سنة ١٩٣٠

رأى (١) جلالة الملك فؤاد أن يجرب تجربة جديدة لتعديل الدستور تعديلا يلائم خطته التى ترمى إلى الفصل الحقيقى بين سلطة التشريع وسلطة التنفيذ، ذلك بعد الاحتكاك المستمر بين حق القصر وحق الأغلبية وبعد الشكوى الدائمة من غلبة روح المنفعة على الحياة النيابية، ومن هنا كانت محاولة إصدار دستور ١٩٣٠، على أساس عدة آراء وتجارب رأى الملك ضرورة تطبيقها

(٢) رأى نسيم باشا عند ما أحيل الدستور إلية من الملك ضرورة إدخال تعديلات كثيرة تضيق من حق الأمة ولكن كان أخطر تعديل أشار به هو تحريف المواد التى تجعل الوزارة مسئولة أمام البرلمان بأن يجعل لإمضاء الملك دون وزرائه قوة القانون. وبذا هدمت المادة ٤٨ التى تنص على أن الملك يتولى سلطته بواسطة وزرائه، وبدا أن الملك أخذ بوجهة نظر نسيم باشا ألا إن رئيس الوزارة وناظر الخاصة هددوا بالاستقالة وانتهت الأمور بأن سلم الملك بأن التعديل المقترح خطر لأنه يسلب الدستور كل معنى، وهو ليس فى مصلحة البلد والتفكير فيه يساوى التفكير فى الغاء الدستور كليه

---

(١) بتصرف عن كتاب الملك فؤاد للاستاذ محمد صبيح

وجربت تجربه دستور ١٩٣٠ ولكن بعد أربع سنوات من استمرارها ظهر أن البلاد لم تكن تطيق الحكم بهذا الاسلوب ثم تقررت العودة إلى دستور سنة ١٩٢٣

(٣) أصدرت وزارة صدقى باشا الدستور فى ٢٨ اكتوبر ١٩٣٠ وقانون الانتخابات الجديد وظهرت على الدستور ثلاثة إعتراضات (١) القيود التى قيدت المسئولية الوزارية (٢) حفظ الحق للحكومة فى أن يكون إقتراح القوانين الماليه لها وحدها (٣) ارجاء القوانين التى يرفعها الملك إلى الدورة التالية

رأى عبد العزيز[1] فهمى باشا

فى دستور ١٩٢٣ و ١٩٣٠

كان من الممكن أن يجىء دستور لجنة الثلاثين أرقى دساتير العالم إمعانا فى تثبيت الحرية والديمقراطية ولكن بعد أن تم وضعه أجريت عليه عدة تعديلات شتى

وكان أن اعترضت على إجراء هذه التعديلات واحتكمت إلى يحيى ابراهيم باشا رئيس الوزراء وقتئذ (نشر فيما سبق) واحتكمت إلى الرأى العام على صفحات الجرائد والمجلات ولكن إعتراضاتى ذهبت مع الرياح فقد صدر الدستور كما أرادوه

تمر السنوات ويعطل فيها الدستور مرة وتجرى الانتخابات مرات حتى جاء صدقى باشا ورأى ما فى الدستور من أخطاء .. ورأى أن يعمل على تلافيها وخاصة وقد تجمعت لديه سلطات كافية ورأى أن يستشيرنى فيما قرره على أساس معارضتى القديمة الشديدة لبعض نصوص دستور ١٩٢٣ وفعلا اجتمعنا مرات وتناقشنا طويلا ثم خرج دولته على مصر بدستور جديد عرف باسم دستور

---

(١) روز اليوسف العدد ٩٤٣ فى ١٠ - ٧ - ١٩٤٦

صدق وقد قال كثيرون فى هذا الدستور ما قال مالك فى الخمر . . ولعل أشنع تهمة وجهوها له هو أنه انقص الكثير من سلطة الأمة. وكل من درس دستور ١٩٣٠ يجد أنه لم يتعرض لها بل أبقاها هى وكل حقوق المصريين وحرياتهم على ما هى عليه فى دستور ١٩٢٣، كل ما فى الأمر أنه قرر أحكاما بسيطة لا تمس أساس النظام ، لحدد أحد أعضاء المجلس ونظم مسألة الاستجواب ثم عدل قانون الانتخاب وجعله مطابقا لنصوص الدستور لا مخالفا لها كما كان الحال فى قانون انتخاب دستور ١٩٢٣ المعمول به اليوم ويسعى اليوم كل مفكر دستورى إلى إعادة قانون الانتخاب الذى وضعه صدقى باشا

والقلق الموجود فى حياتنا البرلمانية ناشىء عن طريق الانتخاب فنحن أمة يقل فيها عدد من يقدرون واجباتهم السياسية بالنسبة إلى مجموع الناخبين وما دامت هناك أغلبية ساحقة من أبناء البلاد ترتع فى الجهل .. فان طريقة الانتخاب ستعاون هذا الجهل المتفشى على ألا يكون النواب من خيرة أصحاب الرأى وممن يفرض لهم أحوالهم الاجتماعية حب استقرار النظام

البرلمان

١ – ثبت البرلمانات

« لا أومن بالنظام البرلمانى مع وجود الاحتلال فانه على هذا الوضع تقتل روح الجهاد » « سياسى »

برلمان سعد	١٩٢٤	
برلمان زيور	١٩٢٥	
برلمان ثروت	١٩٢٦	(تضامن الأحزاب)
برلمان صدقى	١٩٣٠	(على أساس الدستور الجديد وحزب الشعب)
برلمان النحاس	١٩٣٦	(الجبهة القومية)
برلمان محمد محمود	١٩٣٩	(الأحزاب المعارضة)
برلمان النحاس	١٩٤٢	
برلمان ماهر	١٩٤٤	(الأحرار والسعديين والكتلة)

٢ – آراء في البرلمانية المصرية

١ – الاستاذ محمود كامل المحامى « العمل لمصر »

أثبتت التجربة أن الأصبع الآجنبية قد شلت من سلطة البرلمان المصرى واعتدت على حقوقه الدستورية فى أكثر من تشريع مصرى هام ، كما أثبتت أن مجلس النواب المصرى منذ انشائه فى عام ١٩٢٤ لم يستعمل حقه الدستورى فى الاقتراع على عدم الثقة بالوزارة ، واسقاطها . بل الذى حدث على التوالى هو العكس ؛ إذ أن كل وزارة مصرية تؤيدها السياسة الأجنبية قد استطاعت التخلص من كل مجلس نواب مصرى يناوئ هذه السياسة

٢ — المصور ٢٣ – ٨ – ١٩٤٦

البرلمانية تجدى وتجزى فى بلاد الاستقرار، أما فى البلاد المقلقة المصير، المتنازعة الأحزاب بأهواء الدول الواقعة تحت سلطان مباشر أو غير مباشر للدخيل لا للاصيل فهى كارثة، وفوضى وفاجعة، وعلاجها الاستئصال لأمد محدد تجرى فيه الاصلاحات والاستعدادات للدفاع عن كيان الوطن واستقلاله وحريته، والبرلمانية حاجز - والسنة ومنار تصلح لأيام اليسر لا لأيام العسر

المصور (العدد ١٠١٣) ١٠ – ٣ – ٤٤

البرلمانية الصحيحة لا تنضج وتكتمل وترتفع فى مصر إلا إذا ارتفع مستوى التربية السياسية ارتفاعا كبيرا عن مستواه الآن ولا يزال شبح الحزبية فى كل موضوع يفسد البرلمانية النقية العالية المنتجة، ويحول دون الوصول إلى القمة والذروه شبح الحزبية هذا لا يزال يتراءى أمام النواب الحزبيين فيدفعهم إلى الشطط حينا ولا يزال يتراءى أمام الحكومة والأغلبيه فيدفعهما إلى الحذر الشديد وسوء الظن الأشد هذا وذاك عاملان من شأنهما أن يلويا قصد الحكومة والمعارضة معا

نقول هذا مخلصين وننتظر بشغف ذلك اليوم النموذجى الذى تعترف فيه المعارضة بأن الحكومة حكومة رأسمالها أن تعمل للبلد وإلا فقدت حاضرها ومستقبلها، وذلك اليوم النموذجى الذى تقدر فيه الحكومة أن المعارضة عنصر ضرورى يجب أن يترعرع ويقوى ويترك له المجال حرا ليكشف نواحى النقص وليبرز نواحى الخطأ ولينصح وينذر النصح الأمين والانذار الأمين..

.. من خبايا وخفايا السياسة العامة مالا تستطيع الحكومة أن تثيره وقد تكون فى أشد الحاجة إلى إثارته على غير مستوليتها ليرتفع صوت مصر البرلمانى حارا قويا جبارا تستغله الحكومة وتستخدمه فمن بالله يقوم بهذا الدور غير المعارضين

٤ — رأى كاتب مصر

الحياة النيابية فى مصر حياة تنافس وتنازع على كراسى الحكم وهى بهذا تخرج عن الأوضاع السليمة الصحيحة إلى الشهوات الشخصية والمطامع الفردية

والعجيب أننا لم تسمع فى مصر بالبرلمان الذى أسقط وزارة أو سحب منها الثقة أو عارضها فى تصرف من تصرفاتها بل الذى نعرفه جيدا أن برلماناتنا كانت دائما تؤيد الوزارات وتواليها ، والعجيب أننا لم نرى فى برلماناتنا النواب أحرارا الفكر الذين ينظرون إلى تبعة النيابة ومسئوليتها بعين التقدير فلا يوافقون ولا يحكمون إلا بعد بحث واستقصاء ودرس ومعارضة ومناقشة ولو كان الحكام من أنصارهم

أنهم وكلاء الأمة قبل أن يكونوا أعضاء حزب معين ، وإن فى رقابهم مسئولية هذا الشعب الذى انتخبهم ووضع الثقة فيهم ، فلابد من النظر بعين التقدير إلى هذه الثقة قبل النظر بعين المجاملة إزاء الأحزاب الوزارية

والواقع أننا فى حاجة إلى نواب يفهمون هذه المعانى ، ويطبقونها فلا تغلب مصالحهم الشخصية على مسئولياتهم الكبيرة ، ولا تغلب مجاملتهم للوزير على كرامتهم كرجال ، يوافقون عما يقتنعون به ويؤمنون به ولا يكونوا امعات تنساق فى التيار

٥ — الاستاذ فكرى أباظه ١٩ — ١١ — ١٩٣٤ (العدد ٩٩٧ المصور)

إن برلماننا المصرى قد قطع من عمره عشرين عاما ، وعشرون عاما ليست بالعمر الصغير ولا القصير ولقد عصرت التجارب البرلمان المصرى عصراً فوجب أن تصقله صقلا .

إذا صح أن الدستور فى نصوصه الغامضة والمتردده ، والتى على بياض ، هو العلة فلماذا هذا الجمود أمام غموض الدستور وفراغ الدستور وتردد الدستور .

هيا راجعوه بالنية الخالصة وبروح التفاهم الصريح فعدلوه أو هذبوه أو

أو أملاوه وتقحوه وطعموه بالدم الجديد وأجعلوه واضحاً مقروءاً وضاءاً لا لبس فيه ولا إبهام .

٦ — الاستاذ عباس محمود العقاد – ١٤ – ١٢ – ١٩٤٤

الوظيفة الكبرى التى من أجلها خلق البرلمان هى محاسبة الحاكم على إخطائه ومراجعته فى مشروعاته وأعماله . فالأمم لا تدعو الى الانتخاب لأن المعارك الانتخابية مطلوبة لذاتها ولا تنتخب البرلمان لأنها فى حاجة إلى إنفاق الألوف والملايين على جماعة من (المطبيين) يصفقون ويهللون ويطردون إذا كفوا عن التصفيق والتهليل .

كلا وإنما هى تتحمل هذه التكاليف سعيا إلى فائدة واحدة من ورائها هى محاسبة الحكومة ومراجعتها

٧ — اللواء الجديد ١٤ – ١٢ – ١٩٤٤

لقد كان خير للأمة ألف مرة ، أن تلغى فيها الدساتير والقوانين جميعا فيقال إنها مكرهة على الظلم والفساد من أن يحسب عليها الدستور والقانون ليقال إنها هى التى تنشىء حكومة الظلم والفساد وتنكر كل ما عداها من الحكومات .

ما سمعنا أن برلمانا حاسب الحكومة على خطأ واحد أو رفض مشروعا تقدمت به الحكومة .

٣ - تاريخ برلمانى

برلمان[1] سنة ١٩٢٤

(١) بعد أن أصدر يحيى باشا ابراهيم الدستور وقانون الانتخابات تشكل البرلمان المصرى الأول وشكل الوزارة سعد زغلول وانتخب مظلوم باشا رئيس مجلس النواب .

(٢) فى ١٣ - ٣ - ١٩٢٥ أجريت الانتخابات بمعرفة زيور باشا وقد كتبت (المانشستر جرديان) تقول (إن كل حزب مصرى يدير الانتخابات يتلاعب فيها ولا يستثنى من ذلك أنصار زيور باشا والغالب فى الانتخابات المصرية أنها نزاع شخصى .

(٣) من خطبة العرش فى البرلمان الزيورى .

تعلمون أن مجلس النواب السابق قد حل بناء على ما وضح لدينا من ضرورة استفتاء الأمة طبقا لنصوص الدستور فيما بدا من الاختلاف بين وجه نظر غالبية هذا المجلس ووجهه نظر الوزارة السابقة فى صدد معالجة الحالة السياسية التى ترتبت على الانذار الانجليزى(٢) ، وقد أجريت انتخابات جديدة أسفرت عن تأليف المجلس من حضرات النواب الماثلين فى هذا المكان . .

---

(١) مما يؤخذ على سعد زغلول أنه لم يحدد فى خطبة العرش الأولى (١٩٢٤) المسألة المصرية تحديدا واضحا دقيقا ولم ينص على مسألة السودان فى صراحة وجلاء ، ولم يتوسع فى الاهداف الوطنية كما ينبغى باعتبار النظام البرلمانى ثمرة الثورة ، ولما ناقشه النواب أصر على موقفه كعادته فى العناد، وأصر على نصوص الخطاب وهدد بالاستقالة ، فضلا عن أنه لم يعرف عنه أنه طالب بالسودان ، بل كانوا يسخرون من الحزب الوطنى وبعد أن حاربه سعد وهو وزير للحقانية فى شخص محمد فريد ، وحاربه فى شخص الدكتور محجوب ثابت وغيره واسقطهم فى انتخابات سنة ١٩٢٤

(٢) الانذار الانجليزى الموجه لوزارة سعد بعد مقتل السردار

وأود فى هذا الموقف أن أبدى مزيد الأسف على الاعتداء المشئوم الذى كان سببا لهذا الانذار .

وأود أن أبدى لحضراتكم أن العلاقات مع الحكومة الانجليزية وقد كانت تأثرت بسبب هذا الاعتداء قد أخذت فى العودة إلى مجراها العادى من المودة والصفاء .

إن هذه الوزارة قد تألفت على أثر استقالة الوزارة التى كانت حائزة لثقة غالبية مجلس النواب السابق ، وقد أفرغت قصارى جهدها فى السعى بقدر ما وفقت اليه لتحقق الأثر الذى يترتب على انذار الحكومة الانجليزية ولم يثنها ما يشغلها من الجهد فى هذا السبيل عن أحكام تسلم زمام الأمر فى داخلية البلاد .

وإنا لنرجو أن يحسن التفاهم بين البرلمان الوزارة لتتوصل حكومتنا إلى إزالة ما ترتب من التغييرات والقيود المترتبة على إنذار الحكومة الانجليزية حتى إذا انتهت بعون الله القدير من هذه المهمة كان لها أن تتحين أنسب الفرص للعودة إلى المفاوضة والسعى فى سبيل استكمال استقلال مصر والسودان بما يتفق مع وضوح حقنا وعدالة قضيتنا .

(٤) وبعد أن أخذ النواب فى اختيار رئيس المجلس وسكرتيره حسب اللوائح والتقاليد البرلمانية تلى أحمد زيور باشا المرسوم الصادر بحل مجلس النواب (ولم يجتمع المجلس غير جلسة واحدة) على أن يدعى المندوبون لانتخابات جديدة فى ٢٣ - ٥ - ١٩٢٥ ويجتمع مجلس النواب الجديد ١ - ٦ - ١٩٢٥ .

(٥) أسباب حل المجلس .

كان المنتظر أن يسفر انتخاب مجلس النواب عن اختيار ثروت باشا رئيسا له ولكن لما اختير سعد عدت الوزارة ذلك الانتخاب دليلا على اتجاه التيار فى المجلس ضدها فرفع الوزراء استقالةالوزارة وهذا بعض ماجاء بها

« لما شرفنى مولاى باصدار أمره إلى بتشكيل وزارتى الأولى رأيت وجوب

استفتاء الأمة فى شأن السياسة التى جرت على البلد تلك النكبات والكوارث والتى أقر زعيمها بعجزه عن القيام بمهمته ، فعرضت على مولاى حل مجلس النواب وأمر جلالته بذلك وقد حصلت الإنتخابات الجديدة وعلى أثرها قدمت استقالتى فأمرتمونى جلالتكم بتشكيل وزارة جديدة برلمانية فشكلتها من زملائى الذين تولوا معى أعباء الحكم وبمجرد انعقاد المجلس وقبل بحثه برنامج للوزارة التى تضمنه خطاب العرش ظهرت فى المجلس روح عدائية تدل على الاصرار على تلك السياسة التى كانت سببا لتلك النكبات التى لم تنته البلاد من من معالجتها وقد بدت تلك الروح جلية فى أن المجلس اختار لرئاسته زعيم تلك السياسة والمسئول الأول عنها .

وبما أن هذا التصرف من نتيجته أن يجعل مهمتنا فى القيام بواجبنا نحو بلادنا مستحيلة وليس فى وسعنا أن نأخذ على عاتقنا ما قد يجره من الأضرار العظيمة لسلامة البلاد وغضبها ، لذا أتشرف برفع استقالتى واستقالة زملائى :

٢٣ / ٣ / ١٩٢٥ أحمد زيور

(٦) وقد انتهى أمر هذه الأزمة بحل البرلمان وبقاء الوزارة ، وقد كان الموقف السياسى فى هذه الفترة يتلخص فيما يلى(١) :

أحزاب متنافرة بعضها يسعى فى قتل الحياة النيابية وبعضها يدافع عنها ، ومساع تبذل من كل فريق لتأييد نظريته ودسائس تدس فى الخفاء واستظهار بالقوة والعنفوان يتظاهر به الحزب الغالب الذى بيده الأمر ، وكل حزب يرى الآخر بالخيانة واضاعة البلاد ، شتائم وتهم تتقاذفها الأحزاب ومثالب ومعائب وأكاذيب تختلق وأعمال ونكايات تدبر لايقاع كل فريق فى أسوأ ما يتمناه عدو لعدوه .

(٧) كانت الصحف تطالب الوزارة باعادة الحياة النيابية التى سالف عهدها بعد أن اعتدت عليها دفعتين وحلت مجلس النواب مرتين وكان حزب الاتحاد المنشىء حديثا يعمل على تعطيل الحياة الدستورية حتى قالت جريدة الاتحاد أن الدستور هبة للأمة أى أنه يجوز الرجوع فيه

---

(١) هذا البيان بقلم أحمد شفيق باشا ــ وتفصيل الحوادث السياسية فى الكتاب المقبل (الأحزاب السياسية والزعماء)

(٨) دعت الأحزاب المعارضة إلى عقد مؤتمر وطنى ، وقد عبرت عنه جريدة كوكب الشرق بأنه فكرة عامة لم يقصد أحد أن يحرم من الدعوة حزب من الأحزاب للنظر فى الطريقة الموصلة إلى عودة الحياة النيابية

ثم تطورت الفكرة إلى دعوة البرلمان بجلسية إلى الانعقاد يوم السبت ١٣ / ١١ كما تقضى بذلك نصوص الدستور ، وقد اجتمع الحزب الوطنى فى ١٣ وإصدار قراره بوجوب اجتماع المجلس القديم بعد أن صار أمر حله باطلا وملغى ، ودعا أعضاء مجلس النواب والشيوخ وكل من ينحو نحوهم أن يذهبوا إلى دار البرلمان يوم ٢١ - ١١ ، وكذلك وقع النواب السعديون فى ٢٠ - ١١ اجتماعا أعلنوا فيه أنهم متمسكون ببيانهم إلى الأمة التى لم تفارقهم وأنهم لا يفترون عن محاولة الاجتماع ماوجدوا إليه سبيلا

وأصدرت الحكومة أمرها بمنع كل اجتماع داخل البرلمان بالقوة ، أو فى أى مكان آخر وكلفت الجيش لأن يصدر الأوامر باطلاق الرصاص فى حالة الامتناع عن التفرق وتوعدت الطلبة بالعقاب الشديد

وقد اجتمع البرلمان فى فندق الكونتننتال فى ٢١-١١ وأصدر قراراً بالاحتجاج على تصرفات الوزارة المخالفة للدستور على منع الأعضاء من الاجتماع فى البرلمان بقوة السلاح .

وهكذا هيئت تصرفات الوزارة للأحزاب الفرصة لاتحادها يداً واحدة ضدها

(٩) ثم شكل برلمان الأحزاب المؤتلفة بعد استقالة زيور (١) فى عهد وزارة ثروت ورأس مجلس النواب سعد زغلول ثم شكل صدقى برلمانه بعد الغاء دستور ١٩٢٣ وإنشاء الدستور الجديد سنة ١٩٣٠ وقد امتنعت الأحزاب عن الاشتراك فيه ثم أنشىء برلمان النحاس ١٩٣٦ الذى صدق على معاهدة (الشرف والاستقلال)؟ ثم شكل برلمان محمد محمود والأحزاب المعارضة للوفد (١٩٣٩) ثم ألف برلمان سنة ١٩٤٢ ثم برلمان ماهر ١٩٤٤ المكون من السعديين والأحرار والكتلة والذى قاطعه حزب الوفد

(١) أعمال الوزارات وتشكيلها واستقالتها مفصل فى كتابنا المقبل (الاحزاب والزعماء)

الانتخابات

(١) ارتفعت (١) الشكوى طيلة عشرين عاما أو تزيد من أن الانتخابات ليست مقياسا لذوى الكفاءة والمقدرة على خدمة المصلحة العامة إذ أن المشاهد من نتائجها - فى كل العهود أنها تبعث فى الغالب الأعم إلى البرلمان بأعضاء كل ميزتهم فى الأقاليم أنهم من ذوى العصبية المحلية ، وفى المدن أنهم من كبار الأثرياء ، ويلعب رجال الإدارة سواء فى المدن أو فى الأقاليم دوراً هاما فى الترجيح بين بين المرشحين فى الدائرة الواحدة ، الذين تتوافر فيهم إحدى الصفتين المتقدمتين .

(٢) إن الأحزاب فى الأغلب تقدم للبرلمان مرشحين لا يفهمون شيئا فى قضية الوطن ولا يعرفون من أمور السياسة إلا بعض قشورها ، وإنما هم فى الأغلب من الأغنياء الذين (يفكون الخط) ولا هم لهم إلا تأييد أحزابهم والسكوت التام . .

وإذا درست محاضر جلسات المجلسين لا تجد عدد المتكلمين فى البرلمان يزيد عن خمسة أو ستة أفراد هم دائما الذين يتداولون البحوث ، بعضهم يمثل المعارضة أما باقى هذا العدد العديد فانه ينساق دائما وراء حزبه فيؤيده فيما يعرضه هذا التأييد الذى لا يرقى إلى المهمة الكبرى ، والهدف الرفيع ، الذى يمثله النائب فى مراقبة الحكومة والاشراف على أعمالها وسر ذلك أن الترشيحات الانتخابات تأتى مرتجلة حسبما تكون ، فضلا عن أن هؤلاء النواب لا يستجيبون للبرامج الطويلة العريضة التى يلصقونها على الحوائط إبان الانتخاب والتى لا تكون إلا كاعلان ودعاية لحزب ، وقد تتحقق بعض المصالح الأفراد من الأنصار والأعوان والأقرباء ، ولكن المصالح العليا التى تتعلق بالوطن وبالاصلاح الاجتماعى والاقتصادى فانها قلما يتحقق منها شيئا .

---

(١) الأستاذ احمد حودة (الشرق الجديد - ١٩٤٦/٦/١)

(٣) جرت التقاليد أن تضيق الحكومة على المرشحين الذين يعارضون من الأحزاب الأخرى، إنها تستعمل القوة لاضطهادهم، وتمنع تبعاً لذلك الاجتماعات الانتخابية والمظاهرات أحياناً، بل وتمنع تواجد الناس أمام منازل الناخبين ومن هذه الكلمة التي نشرتها الأهرام في ٥ فبراير ١٩٢٥ تتبين مدى هذه الروح (كانت الأوامر تصدر جهرة ومن الرجال الادارة بما كسة هؤلاء وأتباع مختلف الطرق المؤدية إلى خذلان مرشحي حزب (. . .) حتى تعمدوا أن يكتبوا أسماء هؤلاء المرشحين في كشوف مع أناس لا يعرفونهم ولا صلة لهم بهم حتى لا يستطيعون الاتفاق معهم على انتخاب المندوبين الثلاثين ممن يثقون بهم)

(٤) تسير التقاليد على أساس عجيب، فتكون المسألة في الأغلب مسألة مساومة وللانتخابات سماسرة لشراء الأصوات وفي كثير من الأحيان يأخذ الناخب الثمن وينتخب مرشحاً آخر وهكذا تكون (المعركة التي يراد معرفة رأي الأمة من خلالها، وهذا تمثيل الشعب واحترام إرادته وهذه هي آثار الحزبية التي قامت على الهوى والغرض (١))

(٥) بلغت الطعون الانتخابية في الانتخابات الأخيرة ١٤٠ طعناً وهو أكبر رقم في الانتخابات السابقة وجميع الطعون تحمل عبارة تدخل الادارة، ونال صدقي باشا في انتخابات سنة ١٩٣٠ أغلبية ساحقة لحزب الشعب وكان إقبال الناخبين على الانتخابات بنسبة $\frac{٧}{٨}$ ٦٧ ٪ وفاز محمد محمود في الانتخابات التي أجراها بأغلبية ساحقة سنة ١٩٣٨ وفاز كذلك النحاس بأغلبية ساحقة في الانتخابات التي أجراها ١٩٤٢ وقاطعها جميع الأحزاب وأجرى ماهر باشا انتخابات ١٩٤٥ وفاز فيها بنصف مقاعد البرلمان وهكذا تسفر الانتخابات في مصر دائماً على فوز حزب الوزارة التي تجريها .

(٦) تستعمل دائماً وفي الأغلب أساليب الضغط، والتدخل من رجال الادارة، وحجز التذاكر، وعدم قيد أسماء الناخبين، وقد ابتدعت أخيراً بدعة الدائرة المقفولة .

---

(١) الأستاذ فتحي رضوان (اللواء الجديد)

(٧) وأشد من هذا ، وأقسى ، هو منع المرشحين من دخول الانتخابات وتهديدهم ، كما حدث سنة ١٩٤٢ مع الأستاذ حسن البنا وكما حاول أحد رؤساء الحكومة مع صالح حرب باشا سنة ١٩٤٥ والأستاذ على البرير أيضا وكانت أصابع الانجليز هى التى تفرض هذا وتأمر به فقد حرص الانجليز على حجز بعض الشخصيات الممتازة المخلصة من دخول البرلمان وهددوا وحاولوا دون دخولهم باسقاطهم .

(٨) أليس من العجيب أن من يزور سنداً بقيمة بسيطة تقبض عليه النيابة ، ويقف فى قفص الاتهام أمام القاضى ، وينتهى به الأمر إلى السجن ذليلا مهينا وأما من يزور إرادة أمة ويزيف اختيار شعب فليس له إلا مقاعد الحكم يتربع عليه مكرما معززاً شريفا أمينا .

ومن الغريب أنه ما من مرة يطالب فيها حزب باجراء انتخابات حرة ، إلا وكان هذا الطلب مصحوبا بأن تتولى الانتخابات وزارة محايدة ، أليس هذا طعنا فى نزاهة كل رئيس وزارة حزبى (١)

(٩) عدم قدرة البرلمانات الحزبية المتوالية على استعمال الشجاعة الأدبية فى النظر فى الطعون المقدمة وضعف مجالسنا النيابية عن الارتفاع عن مستوى السياسة الحزبية الجامحة إلى عدالة القضاء .

(١٠) حدث العبث بقدسية الانتخابات فى عهد أول وزارة دستورية سنه ١٩٢٤ فى إعادة الانتخاب فى دائرة البربا (محمد محمود باشا) وذلك فى عهد سعد زغلول فقد انتقل وكيل مديرية أسيوط للاشراف على الانتخابات ولم تترك للانتخابات حريتها ، وبهذا ضرب سعد المثل لمن جاء بعده فى التدخل بقوى الادارة والضغط العسكرى للحصول على نتائج غير بريئة .

(١١) كان العبث الانتخابى سببا فى أن يتأخر الأكفاء ويتقدم الأغنياء ذوى السلطان المادى وبذلك خسر البرلمان الكفايات المثقفة والشخصيات

---

(٢) الاستاذ صالح عشماوى (الاخوان المسلمين ٩ ـ ٨ ـ ١٩٤٥)

النادرة الممتازة التي تؤمن بالمثل العليا وتأبى التورط في دسائس الانتخابات وأسواءها وأعمال السماسرة وشراء الأصوات ، وكذلك عزف الشباب المثقف عن استعمال حقه الانتخابي وعطله وبذلك انقطعت الطبقات المتعلمة عن النيابة وعن استعمال الحق الانتخابي أيضا .

(١٢) تتأثر الانتخابات بالاعتبارات الشخصية وبعدها عن المبادىء ودوران المعركة بين أحزاب لا تتحدث عن برامجها ، وعبودية النائب للناخب واضطراره إلى إجابة طلبات الناخبين الشخصية واشتغاله بقضاء مصالحهم عند الحكام .

(١٣) نال بعض المرشحين المستقلين أصواتا أكثر من مرشحي الأحزاب ، وهذا يدل على فجر جديد واقتناع جديد .

(١٤) يسرف المرشحين في محاباة الناخبين بدق الطبول وإقامة الحفلات حتى أصبح الانتخاب فن قائم بذاته له قواعد وأصول عمادها المال والجاه وتتراوح مصاريف الانتخابات بين ٧ آلاف جنيه و ٢٠٠ ألف جنيه ، تصرف في شراء أصوات وإقامة ولائم ، وإحضار مغنيين ، وطبع مطبوعات وما يدفع للسماسرة والمشروبات وللانتخابات وعود وأكاذيب .

تعديل نظام الانتخابات

(١) اقترح السنهوري باشا (التصويت العددي) وهو نظام يكون فيه للناخب أصوات بعدد مؤهلاته فالحاصل على الدكتوراه لا يسوى بالحاصل على الابتدائية ، والمتعلم صاحب العمل لا يوضع إلى جانب المتعلم المتعطل فيكون الأول ثلاث أصوات وللثاني صوت وللثالث صوتان .

(٢) واقترح آخر لضمان حرية الانتخابات ونزاهتها وضع نظام البطاقة الشخصية لكل ناخب ويراعى في نظام الاقتراع المام الناخب بالقراءة والكتابة حتى نضمن أولا أن لديه وسائل الثقافة وبذلك يمكن التأكد من سريه الاقتراع وصحة الانتخاب .

(٣) يحسن توافر الثقافة في المرشحين ، وتفضيل الأعمال على السلطة الشخصية

(٤) يجب أن تكون المعارك الانتخابية سبيلا لتنافس المبادىء والمذاهب لا نضالا حول الأشخاص أساسه القذف والسب والاتهام

(٥) يجب أن لا يرشح نفسه إلا كل كفء قادر على خدمة البلاد فلا تصبح النيابة نوعا من الترف والوجاهة ولكن تكون خدمة وجهاداً وتضحية

(٦) أن يبتعد المرشح عن الوعود الكاذبة والنفاق وسب الخصوم ورشوة الناخبين وعلى الناخب أن يفضل المخلصين الأكفاء أصحاب المبادى السامية ولا يتأثر بالكلام المنمق والوعود الخلابة ، ولا يبيع صوته بالمال

(٧) تحدد الدوائر الانتخابية تحديداً ثابتا ويكون التصويت اجباريا

الأحزاب والبرلمان

. . . كان (١) لزاما على الوزارة (٢) الجديدة أن تحل مجلس النواب القائم حينئذ . . . والوزارة الجديدة تريد أن تعتمد على مجلس يضم أنصارها ، فيجب إذن حل المجلس القائم وإجراء انتخابات جديدة وأن تتمخض هذه الانتخابات عن نواب يؤيدون الوزارة الجديدة . وهذه هي التقاليد البرلمانية في مصر

صحيح أن الدستور يقضي بوجوب بقاء مجلس النواب قائما بوظيفته النيابية فترة من الزمن لا تزيد عن خمس سنوات ثم يحل المجلس في ختامها

(أما في مصر) . . . فالمجلس النيابي يجب أن يحل إذا سقطت الوزارة وعلى الوزارة الجديدة أن تدعو لانتخاب مجلس جديد ، ولو كان المجلس القديم لما تمض عليه غير دورة برلمانية واحدة . وتقول التقاليد الدستورية أن مجلس النواب رقيب على أعمال الحكومة ولكن تقاليدنا الخاصة يقول أن الحكومة رقيبة على المجلس النيابي ، ومن شأنه الرقابة التي للمجلس النيابي و في بلاد غير مصر ، إن لهذا المجلس اسقاط الوزارة بالاقتراع على عدم الثقة بها

---

(١) من كتاب (سقطت في الانتخابات) للاستاذ حسني محمود جمعه
(٢) وزارة أحمد ماهر

ولكن تقاليدنا قلبت هذا الوضع الدستوري ، فالحكومة هي التي تقترع على عدم الثقة بالمجلس النيابي ، ولهذا نجد الوزارة ترى أن تحل المجلس قبل أن تباشر مهام وظيفتها وقد حدث غير مرة إن كانت الوزارة القائمة في دست الحكم غير معتمدة على أغلبية تؤيدها لأن رئيس الوزارة لم يكن ينتمي إلى حزب من الأحزاب ، ولكنه مع ذلك كان يقوم بأعمال وزارته خير قيام ولم يكن يخشى بأس مجلس النواب على الاطلاق .

وكثيرا ماقامت الأزمات بين المجلس والوزارة وكانت الأخيرة منتصرة دائما وعلى طول الخط إذ كان يكفي ان يلوح رئيس الوزارة بأنه يملك حق حل المجلس فترتعد فرائص النواب ويخشون مراكزهم فيبتلعون لعابهم ويقضون على معارضتهم ويمتدحون السلاو يقبلون من الوزارة كل خططها السياسية (١)

ولهذا قيل أن كل وزارة تعتلي كرسي الحكم تبادر إلى حل المجلس القائم واجراء انتخابات جديدة ، وأصبحنا نحن المصريين نقبل هذا الوضع الفاسد مع علمنا بفساده ، ولكنه فساد أصبح عادة ومن العادات ماهو مبتذل ممجوج ومنها ماهو محترم محبوب .

ومنذ الأخذ بالنظام النيابي الحالي لم يحاول أي مجلس أن يقترع على عدم الثقة بالوزارة لأن أعضاء الوزارة ينتمون إلى أحزاب الأغلبية وهذه الأحزاب ترى وجوب احتفاظها بالحكم ومعنى الاقتراع بالثقة سقوط الوزارة المنتمية إلى هذه الأحزاب .

فاذن يجب عدم عرض مسألة الثقة هذه بأي حال من الأحوال ويجب أن تظل الوزارة موثوقا بها حتى تقوم أزمة من الأزمات تقضي على الوزارة فينفض المجلس النيابي .

ويدعى الحزب الذي قاطع الانتخابات إلى تشكيل الوزارة فيشترط لذلك حل المجلس فيجاب إلى طلبه .

---

(١) هذا ماحدث عند تأليف وزارة صدقي باشا فقد أعطاه البرلمان الثقة

. . . كان المظنون أن وزارة النحاس باشا ستظل فى كراسيها وكان المقطوع به إنها كـكل وزارة تلى الحكم فى مصر تعتمد فى بقائها مستقرة فى مناصبها على جهة أجنبية . . وإنها مادامت هذه الجهة راضية عنها فسيطول أمدها رغما من توتر العلاقات بين الوزارة وبين السراى توترا بلغ أقصى مداه . . ، اهـ

من الاستاذ فكرى أباظه

إلى نواب البرلمان الأول سنة ١٩٢٤

(١) أنجال بخاطركم أن تستغلوا كراسيكم من الوجهة المالية فارفعوا النظر إلى (ألواج) المتفرجين ترو قناصل الدول ارافقة تحملق فى وجوهكم لتنقل لبلدانها وصفا مسهبا عن روحكم المعنوية والمادية ويود كل مصرى أن يقال عن نوابه : انهم حضروا من أقاليمهم للاستقلال لا للاستغلال !؟

(٢) قرروا لـكل عضو ٦٠٠ جنيه فى العام . . ولو كنتم معى أيها القراء ورأيتم وجوه الأعضاء وقد سرت فيها حمرة الفرح بمبلغ السنمائه وعيونهم قد لمعت لمعان الذهب الوهاج وثغورهم قد نمت عن قلوب ضاحكة .

هنيئا لـكم عرق الفلاح البسيط يستحيل ذهبا فينتقل من الجبين إلى الجيوب، ومن ثوبه الأزرق البالى المرقع إلى أثوابهم الرشيقه ، هنيئا لـكم الجاه العريض والمرتب الضخم .

أتدرون ماهو الأثر الخطير الذى سيترتب على هذا القرار ؟

ستصبح المعارك الانتخابيه فى المستقبل حامية متأججة ، جهنميه ، شيطانية لأن عنصر المادة فيها بارز أخاذ جذاب .

وفى مثل هذه المعارك الحامية المتأججة الجهنمية الشيطانية يسقط ذوو الكفاءات وأرباب العقول وينتصر الأميون وأشباه الأميون وتضحى مصلحة الوطن .

تحت قبة البرلمان

إنشاء برلمان من هيئتين تكون له السلطة العامة على أعمال الحكومة وتكون الحكومة مسئولة أمامه

ثروت

٢٨ / ١ / ١٩٢٢

(١) وظيفة البرلمان تشريع ورقابة للسلطة التنفيذية ، فالتشريع للامة مالا يتطلب سوى كفايات تخرج هذا التشريع سواء أكان عدد الأمة صغيراً أو كبيراً ، والمراقبة كذلك تدعوا إلى إيجاد نواب يكون عددهم كافياً لمراقبة الأعمال التنفيذيه والسهر على تحقيق العدل بين الناس فالنائب بحكم الدستور وكيل الامة جمعاء لا نائب دائره يعينها

(٢) ولكن الواقع هو العكس وأن البرلمان بطريقة إنتخابه الحالية لا يعبر عن هذا المعنى ولا تعتبر الحكومة ممثله أمامه ، فطريقة الانتخابات كما وصفنا ليست سليمة تماما ، وأعضاء البرلمان عادة من أنصار الحكم القائم ومؤيدوه ومداولات البرلمان لا تتعدى عدد قليل عرفوا لطول تكرار أسمائهم فى كل دورة برلمانية بالصيال والنضال ، وعرف أن كثيرا من النواب ينتخبون بسلطانهم الريفى فى دوائرهم على طبقات الفلاحين والعمال والشعب فى الوقت الذى يبعد فيه أصحاب الآراء والأفكار والممتازين من ذوى المبادىء ، ويصل تدخل الانجليز إلى حد أنهم يحولون بين الفكرة الإسلامية وبين الوصول إلى البرلمان ، والنواب يجاملون الحكومة لأن لهم مصالح خاصة ، والحكومة تجامل النواب ليكونوا فى صف الأحزاب القائمة فى الحكم .

(٣) لا يمثل البرلمان الفكرة الاسلامية ولها الآن سلطانها القوى وكيانها الزاحف فى كل ميدان ولا يمثل الطوائف الفقيرة ولا الطبقات المتوسطه ولذلك فلا يرتفع صوت لاصلاح حال العامل (١) أو المزارع إلا ويخمد هذا الصوت

---

(١) مشروع خطاب بك فى مجلس الشيوخ ٢٦ — ٦ — ١٩٤١ وما قوبل به من الوزراء والنواب ، رغم أنه مشروع معتدل يرمى إلى رفع مستوى الفلاح ويحد من تضخم الملكيات وييسر السبل للمزارع الصغير للحصول على ملكيات صغيرة ترفع عنه جائحة العوز والفقر

مريبا وذلك لغلبة روح الارستقراطية والرأسمالية على أعضاء البرلمان ، فضلا عن عدم تمثيل طوائف الثقافة كالجامعة وغيرها

(٤) الاستقلال (١) فى جوهرة ولبه هو السيادة التامة للبلد المستقل على مافيه ومن فيه والجيل الحاضر لم يفهم الاستقلال على هذا الوجه ، بل فهمه على أنه بيانات تذاع ووثائق تحرر ، وحفلات تقام ورضى الجيل الحاضر بهذه الأوضاع وطابت نفسه ، فأخمد جذوة الجهاد فى قلبه وكاد أن يخمدها فى قلوب أمته .

. . . والنظام النيابى ليس غاية فى ذاته وإنما هو وسيلة غايتها أن تحكم الأمة من أبنائها من هو أدنى إلى ثقتها ، واقدر على حكمها حكما يقوم على المشورة والحرية والعدل والمساواة

ونظرا لما بين الأمم من خلاف فى درجات المعرفة والثقافة والخلق والتقاليد فإن هذا النظام قد يحقق هذه الغايات فى أمة ، ويخفق فى تحقيقها فى أمة أخرى فيكون خليقا بأن يبقى حيث نجح ، أما حيث أخفق ، فالخير فى أن يراجع وأن يعدل

. . . والجيل الحاضر لم يفهم النظام على هذا الوجه ، وإنما فهمه على أنه انتخابات تجرى ونواب يظفرون بشرف النيابة ، وحكومات تقوم الواحدة بعد الأخرى على أساس من أغلبية برلمانية أما أن يكون من وراء ذلك ماينبغى أن يكون من حكومة قوامها المشورة والعدل والحرية والمساواة ، فذلك مالم يصب من الجيل الحاضر حقه من العناية

(٥) إذا (٢) ما ابتلى بلد ما بنواب أو أحزاب لا تناضل ولا تتطاحن فى سبيل مصلحة عامة وإنما تحصر كفاحها فى سبيل المصلحة الخاصة أو الفوز الحزبى لذاته ، خرجت هذه الأحزاب عن طبيعة وجودها إلى غير الوكالة التى

---

(١) الأستاذ مصطفى مرعى

(٢) محمد على علوبة باشا فى كتابه (مبادىء السياسة المصرية ص ١٠٢)

التى أؤتمن النواب عليها ، وانقلبت الحال من استبداد الفرد إلى ماهو شر منه وهو استبداد الطوائف والجماعات

وقد وضح من هذا أن الحياة البرلمانية وسيلة لا غاية فلا تؤتى ثمرتها ولا يتحقق الغرض منها إلا إذا حقق نواب الأمة الغرض من نيابتهم

وتحقيق هذا الغرض يتطلب أن يكون للناخبين (إرادة سليمة) وللنواب (مناعة خلقية) تلك المناعة التى يجب أن تقف سدا منيعا أمام المفاسد والمغريات وتقضى أن يكون النائب فى نيابته قوة قدسية ، كما يكون القاضى فى قضائه

وتلك القوة القدسية التى تجعل الناس يركنون إلى عدله وبهذا يقوم الملك ويستقيم العمران أما إذا خرج النواب عن مأموريتهم واستغلوا نيابتهم لمصالحهم فإنهم يصبحون أداة شر وفساد ويكون أثمهم أكثر من نفعهم

. . . والوطنية ليست شيئا سوى تضامن أفراد الأمة و الدفاع عن كيان المجموع وشرفه يضحى كل فرد براحته وماله ودمه فى سبيل مصلحة وطنه ، فاذا كان ولاة أمور فسقه ظالمين واستكان المحكومون لهذا الظلم واستساغوه فكيف تظن أن فردا من الأفراد يضحى بشىء فى سبيل مصلحة هذا المجموع الفاسد

. . . إذا اتصل الفساد بنواب الأمه وولاة أمورها فليس الذنب ذنب الحياة النيابية نفسها فهى أرقى نظام يجب أن يتمسك به الناس إلى الآن ، إنما الذنب ذنب وكلاء الأمة نوابا وحاكمين ، أولئك الذين أهانوا الوكالة نفسها

. . وقد كانت الحياة النيابية فى أغلب بلاد العالم فى بدايتها حياة استغلال وتجارب قاسية فكان النواب يسعون فى إرهاق حكوماتهم لمصالحهم الشخصية فى المحاباه والمحسوبية والمنافع الخاصة ، وكان الناخبون بدورهم يدفعون النواب إلى السعى وراء مصالحهم الأقليمية أو الشخصية وكان الوزراء يخشون النواب وأحزابهم ويضعفون أمامهم قصد استمالتهم وضمان الثقة بهم

وكان النواب من جهتهم يخشون الناخبين ويعملون على رضاهم حتى يفوزوا بتأييدهم ، حين تجديد الانتخابات وكان النائب يحمل ذمته تحت إرادة الوزير حتى يفوز بمغنم من المغانم المتواصلة وكان النواب والناخبون يرهقون الوزراء بالطلبات المتكررة فى أنديتهم ودورهم وأنديه أحزابهم

(٥) فقدان روح النيابة الصحيحة والتقدير السليم للمسائل والشعور الكامل بالمسئولية واحتمال التبعة وتقديرها وجعل مسألة الوطن وأمور الأمة فوق صداقة البرلمان للوزارة أو فوق مصالح النواب الخاصة ، ومسألة شراء أصوات الناخبين بجعل النيابة وقفا على الأغنياء ويدحر أصحاب الكفاءات ، ويقدم للبرلمان الأغنى لا الأحسن .

(٦) ولهذه الأسباب يعتقد بعض النواب أن النيابة وظيفة شرفية ولو درى أمثال هؤلاء لعرفوا أنها محنة وأنها تكليف وأنها مسئولية ضخمة بالغة ، وأن النائب يجب أن يشعر بقدر التبعة الملقاة على عاتقه فى محاسبة الحكومة ومراقبة الوزارة .

(٧) النظام البرلمانى والنيابى نظام يتفق مع الاسلام ولا يختلف معه ولكنه فى حاجة إلى تعديل لقانون الانتخاب بحيث يستوفى كل ما ذكرنا من أوجه النقص على أن يستجيب أول ما يستجيب البرلمان لنداء الفكرة الاسلامية اليقظة والدعوة الاسلامية التى يدوى صوتها الآن فى كل مكان وتغلب روحها على معالم المجتمع والاقتصاد والسياسة ؟

عود إلى وطنية الجهاد

بعد ربع قرن فى مناورات السياسة

حقائق ناصعة

(١) كان هذا الربع قرن كافيا ليكشف أمام بصيرة الشعب حقيقتان عزيزتان ، أولاهما أن الانجليز أعداء ظلمة فجره ، طالما أساءوا الينا وتركوا فى قلوبنا جراحا دامية وأثاراً سيئة وآلاماً عميقة الغور ، وندوبا ما تزال تنزف ، منهم الذين قتلونا فى ١١ يونيه ١٨٨٢ وفى ١١ يوليه ١٨٨٢ وفى دنشواى وفى العزيزية وفى الشوبك وهم الذين ضربوا شبابنا بالرصاص فى ثورة ١٩١٩ فهم الذين حصدوا الشباب المؤمن بحق وطنه فى سنة ١٩٣٥ مرة وفى سنة ١٩٤٦ مرتين الأولى بيد الانجليز والثانية والثالثة بيد المصريين ، فنحن لذلك نكرههم ونخاصمهم ولا نحمل لهم فى نفوسنا إلا المقت والازدراء ، والتاريخ يشهد أنهم لم يخلصوا النية لنا يوما واحدا ، ولم يعاملونا مرة واحدة على أساس الاقرار بكرامتنا وعزتنا ، ولم يكونوا صادقين مرة واحدة فى وعد وعدوه ، بل كانوا يبسمون دائما ومن وراء أنيابهم سم الثعبان وغل الظالم وحقد المستبد ولطالما خدعونا بالأكاذيب والوعود والتصريحات ولم يصدقوا فى وعد ، ولم يحققوا رجاء وتكشف لنا بعد هذا الربع قرن أنهم لا يريدون لنا أى خير ، ولا يريدون بنا إلا الاغتصاب الدائم والاستعباد المقيم والأذلال المستمر بأساليب بهلوانية وطرق كلها مناورات ومداورات ومحاولات والقصد الأول والمرمى الأصيل فى أنفسهم قائم ، وما هذه الألفاظ والأساليب والمعاهدات والمحادثات والمفاوضات إلا وسائل لتخدير الشعور اليقظ ولقتل الروح الوطنية ولتحطيم معالم العزة ولتوجيه الشعب وجهة القناعة بالذل والرضى بالعبودية والانصراف إلى المطامع الفردية الدنيوية القاصرة .

وأنهم لا يكنون لنا إلا سوء النية والحقد البالغ على الاحرار والدعاة والصرحاء والمخلصين لأوطانهم ، وأنهم يكيدون لهؤلاء العاملين أشد الكيد ويحاولون تحطيمهم واعتقالهم ونفيهم وتسليط أساليب التهديد والوعيد عليهم بعد أن أعيتهم الحيل فى اغرائهم بالمال وغير المال ، وقد أتقن هؤلاء الانجليز أساليب الاستعمار واستطاعوا بالمال وبالمرأة وبالمناصب وبالوعود وبالمظاهر أن يحطموا الكرامة وأن يقتلوا العزة وأن يصرفوا الأحرار عن جهادهم فتلين قلوبهم وتطمئن نفوسهم وينقلبون من العداء والخصومة واللدد للانجليز إلى الصداقة والود والحب والولاء ، وهم لا يعلمون إنما باعوا أنفسهم وضمائرهم بالمال والنضار ورضوا بالأدنى عن الأعلى ، وقصرت هممهم فى مضمار الجهاد والنضال ولم يقبلوا الاحتمال فى صبر واطمئنان انتظاراً لوعد الله بنصر المجاهدين (حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا آتاهم نصرنا)

ولا يعلم هؤلاء الذين كمم الانجليز أفواههم بالمال أنهم أصبحوا عبيداً أشتراهم العدو وأنهم خسارة فى كفة الوطن ، وأن العدو الذين يظنون أنه يصادقهم ويمدهم بالمال ، إنما ينظر إليهم نظرة السخرية والاستهتار والاحتقار لأنهم أرقاء فى الدين والوطنية والكرامة ، ولولا ذلك لما انساقوا فى هذا التيار المنحدر

هذا فضلا عن طبقة أخرى رضيت بأن تكون عيونا للانجليز على الأحرار ينقلون إليهم كل حركة وسكنة ، وكل كلمة ولفظة ، بالحق وبالباطل ، هؤلاء هم الخونة الظلمة الأذناب الذين يدلون الأعداء على مواطن الضعف وثغرات الوطن ، هؤلاء هم الذين أعانوا الانجليز على عرابى فى موقعة التل الكبير وفتحوا لهم الطريق إلى معسكره وإلى القاهرة وإلى القلعة ، وهم الذين يعملون فى كل وقت ليكونوا عيونا على الزعماء والأحزاب والهيئات والحكومات وسيعلم هؤلاء يوم نتحرر ماذا يكون مصيرهم وإلى أين يكون مآلهم يوم ينقلبوا إلى ربهم .

علمنا هذا الربع قرن أن الانجليز حاولوا أن ينقلوا الأمة من جهاد الوطنية

وكفاح الحرية ونضال الاستقلال والوحدة إلى دسائس السياسة ومؤامرات الحزبية ومساومات المفاوضات وجعلوا من أمور الوطن سياسة عليا لا يحق للشعب أن يعرفها أو يشترك فيها وأن تظل هذه الأمور تجرى فى كتمان شديد ومن وراء ستار

أما الثانية فانهم تقلونا من الاحتلال السافر إلى الاحتلال المقنع وراء زعماء مصريين وأصبح هؤلاء الزعماء هم الذين يقاومون الشعور الوطنى ويحطمون الأهداف الوطنية ويحولون بين شباب الأمة وبين إعلان شعوره تجاه المواقف السياسية كالمعاهدات والمفاوضات والوزارات والبرلمانات وأن هؤلاء الزعماء الذين ورثوا مجد ثورة ١٩١٩ قد صادقوا الانجليز وقبلوا التفاهم معهم والتحالف أيضا ولم يقبلوا هذا فيما بينهم خاصة ، وإنما كان هذا التحالف وهذه الصداقة على حساب الوطن نفسه نخسر الوطن هذا العمر الطويل فى المساومات والمداولات التى تنطوى من جانب الانجليز على سوء النية وعلى التلاعب بالألفاظ وعلى تحطيم القواعد الوطنية وعلى تركيز قواعد الاحتلال فضلا عن إدارة دولاب الحكم فى مصر من وراء ستار يفرضون من يشاءون ويعزلون من يريدون ، ويقيمون العراقيل فى وجوه العاملين ، ويهددون بالانذارات الطاغية ، ويحدثون الأزمات العنيفة ، ويفرضون سلطانهم كاملا على كل شيء على الجيش وعلى التعليم وعلى البرلمان وعلى الصحافة وعلى الاجتماعات .

ويجدون من الزعماء من يتقرب إليهم ويسعون لهم ويناصرهم فيجعلوا منهم عونا على خصومهم ويلقون فيهم من يخافونهم أكثر مما يخاف الله ويخشونهم ، فضلا عن مناورات الأحزاب التى تمزقت من بعضها وانفصلت وقامت وراء أسماء زعماء لا وراء مبادىء ولا أهداف تقنع الرجل العاقل المثقف ، وتقارعت هذه الأحزاب ألوان الأكاذيب والمهاترات على صفحات الصحف ونزلت كرامة القلم من علياء سمائها إلى أبعد حدود الإسفاف ، وتنابذ الزعماء بالألقاب وتناحروا على كراسى الحكم ، وأوجدوا فيما بينهم ثارات عميقة الغور ، وثارات لما تهدأ ، وحال ذلك دون اجتماعهم على الخطر حين يهجم ،

وامتنع معها التفاهم والوقوف جبهة واحدة أمام العدو ، واستطاع العدو أن يوسع الشقة ، وأن يستعدى هذا على ذلك ، وأن يناصر هذا ويخذل هذا وأن وأن يساوم هذا وهذا ؟ وتعرضت قضية الوطن لأبلغ الخطر من جراء هذه الفرقة الشائنة والخصومة العنيفة ، وتمزقت الأمة وراء هذه الأحزاب ، وانحدرت الأهداف الوطنية العليا من نفوس الزعماء والشعب والاتباع إلى مصالح فردية وأمور شخصية ورغبة فى التنكيل بالخصم والوصول إلى مكانه .

وظل الأمر هكذا حتى دوى داعى السماء ، وسمع صوت الوعى الاسلامى الجديد ، فتنبه له الناس وآمن به الشباب وانساقت وراءه الأمة . وعرفت مدى الخطأ البالغ فى إيمانها بأن الخير لا يأتى على أيدى هؤلاء الزعماء المتناحرين المتناكرين فكفرت الأمة بهم ، وعلمت أنها ألعوبة الانجليز بغيه تمزيق الأمة الموحدة ، فتضامت الصفوف وتكامل الوعى ، وتبين الحق وقاد الشعب صفوفه بنفسه وزحف على أهدافه فى قوة ويقين وإيمان وخصب فهمه وعرف أن له عدوين أولها الانجليز الظلمة الغاصبين وثانيهما صنائعهم وأذنابهم الذين يسيرون فى ركابهم ويبيعون الأوطان لهم ويمكنون لهم فى البقاء وإلى هذين تتجه الجهود وتتضام الصفوف وتتكتل القوى وتترابط الحلقات لكفاحهما معا ونضالهما معاً والله غالب على أمره .

(٢) كلما (١) أحست مصر ذل الأسر واقرحها ثقل القيد وقامت فيها صيحة من الحرية . أجابت انجلترا بتصريح باستقلال أو وعد بجلاء حتى لا تدع مجالا لتلك الفورة لتتحول إلى حركة شعبية أو ثورة عامة وبذلك استطاعت انجلترا أن تكبت الشعور الوطنى وأن ترديه فى تلك الحلقة المفرغة بين اليأس والرجاء بما مكن لها الزعماء من انشغالهم بأنفسهم عن المثل العليا فقام منهم دعاة المساومة على الحقوق والالقاء بالأمة فى كنف الغاصب المستعمر بحجة الصداقة التى لا غنى لمصر عنها والمصلحة المتبادلة المشتركة بين ندين ! والله يعلم أنهم لكاذبون ؟

---

(١) الاستاذ صلاح عبد الحافظ (جريدة الاخوان ٢-١٢-١٩٤٦)

أى صداقة يا معشر القوم ، أتخدعون أنفسكم أم تخدعون أمتكم والأجيال ؟

أتتنكرون حاضر الاستعمار فى مصر أم تتنكرون ماضيه . أما حاضره القريب فحسبه الأبرياء العزل الذين أرداهم فى ميدان قصر النيل والاسكندرية دون ذنب أو جريرة إلا المناداة بحريتهم ودعوتهم إلى استقلال أمتهم .

أم تتنكرون ماضى الاستعمار وصفحته المخضبة بدماء الشهداء والمجاهدين من أبناء الأمة البررة ، أنسيتم أعواد المشانق ورصاص أبناء التاميز فى صدور أبناء النيل العظيم وهم فى عقر ديارهم بين أبنائهم وأهليهم . . أنسيتم سيلان ومالطة وسيشل .. أنسيتم دنشواى والعزيزية والشوبك .

(٣) لقد (١) لقد عرفت الحرية فى مصر أخيراً ، لونا جديداً من ألوان التعسف والاضطهاد تشنه الحكومات على طبقات الأمة ، اضطهاد هو أشد هولا وأكثر نكيرا من اضطهاد المستعمر فى عهد الحماية والاحتلال السافر . وأصبح ذلك سلاح كل حكومة الأكثرية أو الأقلية ما دامت مقاعد النواب مقصورة على أذناب الأحزاب وطلاب المنافع والغايات .

(٤) الانجليز (٢) مداورون بارعون ، حذقوا أساليب المساومة واللف والدوران . . ولهم قدرة على حسن الاحتيال لما يبغون والانتفاع بكل حالة وظرف ، والمبادىء لا تعنيهم إلا بمقدار ما تصلح لأن تكون أداة أو سيلة إلى غاياتهم ، ولا يبالون بالألفاظ ما دام المؤدى الواقعى غير المعنى الذى فى المعاجم دارت مفاوضات وأخفقت كلها ، وكل مشروعات المعاهدات تمس استقلال مصر . وقد كان التحالف العسكرى هو قاعدة كل مفاوضة ، ولم يعبأ الانجليز باخفاق المفاوضات لأنهم واضعوا اليد ونحن المتلهفون واشدة لهفتنا قبلنا (التقسيط) وغالينا بقيمة الألفاظ التى لا يعبأ بها الانجليز .

---

(١) جريدة الاخوان ٢٤ نوفبر سنة ١٩٤٦

(٢) نفس المصدر (الاستاذ المازنى)

(٥) ألاعيب الألفاظ : استقلال وجيش الاحتلال قائم ، نزلت انجلترا عن لقب المندوب واستبدلته بلقب السفير ولكن السفير ظلت له سطوة المندوب ، تحرر جيشنا وتوليـــا أمره ولكنهم طلبوا إلينا أن يساعدونا بقبول البعثة العسكرية فعطلت على جيشنا كل تقدم ، وأصبحوا يقولون لنا أنتم ضعفاء ولا قوة حربية لكم وليس لكم قدرة فى الدفاع عن أنفسكم بمفردكم .

(٦) عندما (١) هبت مصر تطالب باستقلالها فى ثورتها الخالدة سنة ١٩١٩ وكادت أن تحقق حريتها جاء زعماؤنا فانقسموا إلى فريقين . لعب الفريق الأول ذلك الدور الذى تزعمه صدقى باشا فى إصدار تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ ... إذ نجح فى إقناع الانجليز فى إصداره من جانب واحد معلنا انتهاء الحماية واستقلال مصر فى الوقت الذى سلبه إياها بتحفظاته الأربعة وذلك حتى يختلف الناس على حقيقة مراميه بتصريح وحدة الأمة . أما الفريق الثانى وعلى رأسه سعد فقد عاد من المنفى وقبل الحكم والسلطان وذلك التصريح نافذ بتحفظاته وقيوده .

وقامت مصر تقف وقفتها الثانية ضد المحتل الغاصب سنة ١٩٣٥ وسقط منها من شهداء الجامعة الأبرار : الجراحى ومرسى وغيرهما برصاص الضباط الانجليز ، وكتب الشباب المصرى بدمه صفحة خالدة على الدهر ... فماذا كانت نتيجة هذا الجهاد وهذا الاستشهاد ؟ معاهدة ١٩٣٦ تلك المعاهدة التى كتبت بها الحماية الانجليزية على مصر والسودان لمدة أخرى

وجاءت الحرب الأخيرة تنذر بانهيار (الامبراطورية) العجوز وقام الشعب بحركته فى أوائل فبراير سنة ١٩٤٢ تلك الحركة التى وئدت فى مهدها وتمخضت عن انقلاب ٤ فبراير الذى كشر فيه الأسد الانجليزى عن نابه لتجىء حكومة النحاس باشا التى أباحت المستعمر حمى الوادى وارزاق أبنائه وأزواجهم وأحلتهم مساكن الشعب ودوره ومكنت لجيش الاحتلال من

---

(١) الاستاذ صلاح عبد الحافظ (الاخوان ٢٨ - ١١ - ١٩٤٦)

مرافق البلاد جميعا فلما انتهت الحرب وقام شعب وادى النيل العظيم لهوفا على تحقيق أهدافه ومراميه فى الحرية والاستقلال واجمع كلمته فى فبراير ١٩٤٦ على المطالبة بالجلاء الناجز عن مصر والسودان وجاء صدقى باشا يطلب من الأمة أن تمهله لتحقيق لها ما يريد . فأمهلته على الرغم منها ، حتى عيل صبرها ونفذ فهمها بين رياء المستعمر وختله ومطاوله صدقى باشا ليخرج علينا أخيرا بمشروع صدقى - بيفن يريد أن يفرضه فرضا ، بقوة الجند والسلاح

. . . ولكن الأمة اليوم قد اكتمل وعيها واشتد ساعدها وبدأت تقود نفسها بنفسها لأنها يئست من زعمائها وأحزابها وكفرت بنوابها وقادتها وأنها لتضع اليوم حقوقها أمانة فى أعناق شباب الوادى قاطبة ، يقودهم جند الاخوان المسلمين الأبرار الذين باعوا أرواحهم لله ولرسوله وآمنوا بحرية هذا الوادى وحقوقه المقدسة كإيمانهم بالله . .

(٧) لابد (١) كى يتأكد سلطان الشعب من وسيلتيه : انتخابات حرة تؤدى إلى أن يمثل أفراد الشعب أصدق تمثيل وصحافة حرة تظل رقيبة على أعمال السلطات والأمة مصدر السلطات لا ينبغى أن تعلو مشيئة على مشيئتها . وقد شرعت الانتخابات لكى ينتخب كل فرد من الشعب من يشاء ليكون لسانه والمعبر عن آماله ورغباته . ومن ثم كان كل ضغط فى الانتخابات وتدخل فيها تزوير لإدارة الأمة ، ونقل لسلطانها من مكانه الطبيعى إلى أيدى أصحاب المصالح فى الضغط والتدخل وتكون النتيجة المحتومة أن يصبح البرلمان فى واد والأمة فى واد ويصبح الامر ديكتاتورية تلبس ثياب الديمقراطية

(٨) وضع (٢) الثوار الحجر الأساسى فى بناء الاستقلال ثم شرعوا فى وضع الأحجار وإقامة الجدران وقد روع هذا الفتح المبين قلوب الانجليز وأيقنوا أننا بالثورة بالغون حتما شاطئ الاستقلال وعندئذ ابتدعوا بدعة (المفاوضة) فى أمر هذا الاستقلال

---

(١) الفصول — مارس ١٩٤٥

(٢) العدد ٧٠ من مسامرات الجيب

. . . إن تاريخ الدنيا لم تسجل منذ الخليقة حادثا واحداً يقول فيه إن أمة فقدت استقلالها ثم استردت هذا الاستقلال عن طريق المفاوضة مع أعدائها وسالبي حقوقها

(٩) فرض انجليز على هذا البلد بعد ثورة ١٩١٩ حلقة خاصة وسياسة خاصة ذات قواعد وأصول وتقاليد وأدخلوا اليها من قبل الدخول ورضى بهذه القيود من يؤمنون بألفاظ المحالفة والصداقة والود ، التي هي في معناها الاعتراف لسلطان الانجليز على مصر ورعاية مصالحها ومواجهة ثورة الشعب ومطالبه بالحيلة وفت، الثورة وقتل روح الجهاد ، واستعمال الرفق والملاينة وتخدير الأعصاب واتخاذ سبيل المطاولة ، المساومة وسيلة إلى إرضاء الانجليز ، ولم يقبلوا في هذه الحلقة المرنة إلا من رضى بهذا القانون وقبل هذا الوضع التقليدى وقبل العمل به وأقره ، أما فريق المؤمنين بالقضية الوطنية إيمانا كاملا صحيحا ثابتا لا مساومة فيه ولا مطاولة ولا معادلة بين رغبات الانجليز وحقوق الوطن فقد أنكر عليهم الانجليز الدخول في هذا الميدان الشعبي وخيرا فعلوا وإنهم قد أطعموا الشعب وغذوا روحه وقد حاول الانجليز أن ينصرف الناس عن هؤلاء وأن تمتلئ نفوسهم بالأهواء السبطة فتنزف عن الأهداف الكبرى فسلطت عليهم الحكومات لتفرق جمعهم وتكميم أفواههم ومصادرة اجتماعاتهم ومحاصرة دورهم وإذا قصرت حكومة أنذرت واتهمت بأنها ضعيفة لا تستطيع المحافظة على الأمن العام ! وحاول الانجليز إرضاء الشعب بالمصالح الفردية والموظفين بالعلاوات والدرجات والعظماء بالألقاب والوزراء بالباشاوين فحمل كثير منهم لقب سر وحمل بعضهم نيشان جورج الخامس وكذلك انصرف الناس خلال هذا الربع قرن إلى أصحاب السلطان من الوزارات المتوالية يناصرون من يحقق الرجاء ويجيب المطالب وينصرفون عنه إذا انصرف عنه السلطان ويخلعونه إذا خلعه لا طوعلى ، وقد أدى ذلك - منذ فجر الثورة - إلى إقصاء الحزب الوطني ودعاة الجلاء الكامل والوحدة لوادي النيل من منبعه إلى مصبه عن ميدان العمل فلم يشتركوا في أي وضع من أوضاع العهد الجديد (عهد الحزبية الحاكمة) وادى ذلك إلى أن حارب مصطفى فهمى وسعد زغلول أمثال محمد فريد وعبد العزيز جاويش

لحوكم بعضهم ونفى الآخرون ولم يعترف لهم فى ثورة ١٩١٩ بأى جميل ، وتولى جنى ثمار الثورة فريق جديد اتشح بالوطنية لجعلها منصبا ينال ومالا يجمع وجاها يضع صاحبه فى الأبراج العاجية فلا يحس بأنين الشعب الجائع العارى

تولاها هذا الفريق من السياسيين لا الوطنيين ، من أولئك الذين يؤمنون بالمناوراوت المداورات والمساومات لا من الذين يؤمنون بالوطنية المجاهدة الصريحة العاملة وأصبح هؤلاء بين تخدير للشعب وصرف له عن المطامع الوطنية العليا إلى المصالح الفردية وبين إرضاء للانجليز وحرص على إجابة مطالب قصر الدوبارة وخشية له من دون الله . ذلك لأنهم كانوا يعرفون أن من يخلفه الظن يخلف الكرسى بجلاله ووقاره فى لحظات قصيرة .

(١٠) ولكن(١) العجب العجاب أن هؤلاء الوكلاء من ١٩١٩ إلى ١٩٤٦ أى فى مدى ٢٧ عاما أو أكثر من ربع قرن لم يرفعوا القضية المصرية إلا أمام الانجليز ولم يسعوا فيها (حيثما وجدوا للسعى سبيلا) وإنما سعوا بها لدى الانجليز ولم يكلموا فى شأنها إلا انكارا .

ولم يترافعوا إلا لدى المحاكم الانجليزية ، ولم يتفاوضوا إلا مع ملنر وتشمبرلن وكرزن ومكدونالد وإتلى وبيفن وستانسجيت وكلهم انجليز .

(١١) فى أيام مصطفى وفريد كانت القضية المصرية قضية دولية ، وكان المجاهدون يعرضونها على مسارح السياسة فى كل مكان . ولكننا تحت ضغط السادة الانجليز وتحت سلطان الأكذوبة الهائلة (الصداقة وحسن النية) قد نقلناها إلى حدود الوطن ، وأن ثورة ١٩١٩ المدوية الهائلة ارغمت وأحضرت الانجليز ولم تسع الأحزاب المصرية التى تعاقدت على أثر هدنة الحرب الكبرى الأولى مع الأمة بوثيقة التوكيل (حيثما وجدت للسعى سبيلا) وإنما قصرت همتها على التفاهم مع الانجليز وحدهم وأصبحت قضية وادى النيل قضية انجليزية بحتة

(١٢) الصداقة ، الثقة ، التحالف ، التعاون ، عرى الود والصداقة ، الثقة

---

(١) الدستور (العدد ١١٤٢)

المتبادلة ، هذه هى ألفاظ الاستعمار البراقة التى تداولتها المشروعات والوثائق والمعاهدات من سنة ١٩٢١ إلى الآن وهى ألفاظ كالطبل المفرغ ليس وراءها أى معنى إلا سحق الحريات واستباحة الأوطان وقتل الكرامة والعزة والرجولة ، والسيطرة من وراء ستار على الوطن والشعب .

واللفظ يحتمل عدة معانى ، والجملة عدة تفسيرات ، كأنها الألغاز والرموز ومنها (الوضع القائم) والأمر الواقع . والظروف القهرية ، والاعتبارات العملية ، والتدرب على الحكم الذاتى .

(وابتكار المحدثات اللغوية المطاطة التى تحمل أكثر من تأويل وتطعيم النصوص بالتحفظات لتكون الاشكالات جاهزة عند اللزوم)

والوطنية لها معنى واحد فى قواميس اللغة ولها ألف معنى فى قواميس الأحزاب (المصور ١١٥٢)

(١٣) أفتح أى مجلة من المجلات والصحف أو الكتب تجد أن روح الشعب له تزفر زفرات متقدة حارة كلها الكراهية والمقت للانجليز والزعامات الظالمة الكاذبة التى لم تكن يوما من الأيام إلا وبالا على الحق الواضح الصريح حقنا فى الحرية

(١٤) الزعامة (١) المخلصة لوطنها لا تنتظر فى أبراجها مترصدة تحين الفرص للوصول إلى الحكم وليست الزعامة المخلصة هى التى لا تعرف العمل إلا فى الحكم وحده ، وإنما الزعامة شقاء وجهاد وكفاح وتوجيه ، ولعل هذه المهمة أبلغ وأقوى وأشد خارج الحكم منها داخل الحكم

(٥) هبط (٢) المستوى الوزارى هبوطا مخيفا ، وهانت الوزارة على الشعب وهان الوزراء بهبوط مستواهم ، فهانت شخصياتهم ، وفقد منصب الحكم جلاله ووقاره

---

(١) المصور ١١٤٥
(٢) نفس المصدر

(١٦) لم نؤمن الآن بالبت السريع فنقول نعم أو لا . وهذا من شرور (مناورات السياسة) التى ابتلينا بها بعد ثورة ١٩١٩ (فنعم (١) أو (لا) خير ألف مرة من هذه المحاورات والمداولات وهى نظام السياسة فى الاسلام ويجب علينا أن نتخده نبراسا ، ولو عرفت انجلترا فينا هذا الخلق لأرقها ذلك وأزعجها

(١٧) بيننا (١) وبين العمل الجدى فراسخ وأميال، والكلام والكتابة والمظاهر والمظاهرات لا تكلفنا كثيرا وهى شىء سهل على كل مخلوق أن يمارسه ، وإنما هناك فى حياة الأوطان عمل جدى اسمه الكفاح ، الكفاح المكتوم المرسوم الكفاح الذى يوضع له خطة ، ويحدد برنامج وتؤلف من أجله شعبا وفرق لها مأمورية ، فريق يعلن أنه لا يقبل الحكم إلا إذا أتيح له أن يفعل كيت وكيت ، وفريق يقاطع التجاره والصناعة فلا يستورد ولا يصدر ، وفريق يتولى جمع المال للحركة الجدية لا الهزلية ، وفريق يسافر إلى أوربا وأمريكا للدعاية ولبسط القضية المصرية واكتساب الأنصار

(١٨) الميدان (٣) السياسى المصرى ميدان مضطرب مكفهر ملبد بالغيوم منذر بالعواصف ولن تستطيع أمة أن تحسم قضيتها وتجتاز لحظة الفصل والحسم وميدانها السياسى ثائر غير هادىء وأقطابها السياسيون سواء أكانوا داخل الحكم أو خارج الحكم متشادون مختلفون متقاطعون ويخشى الوطنى الخالص الذى لا ناقة له فى الخلاف ولا جمل والذى يقف على الحياد ولا يتأثر بالهوى ولا بالغرض أن تتأثر القضية المصرية لا بالخلاف حول الرأى وفى الجوهر ، وإنما بالخلاف حول الهوى والغرض والمطمع ! فلا توجه التوجيه الصحيح البرىء لأنها تستخدم وتستغل لا للمصلحة العامة وإنما للمصلحة الشخصية

(١٩) الزعماء (٤) فى الشرق تدفعهم الجماهير وتسوقهم وتضغط عليهم

---

(١) مسامرات الحبيب
(٢) الصور ٢٥/١٠/١٩٤٦
(٣) ف ٠١ (الصور ١-١١-١٩٤٦)
(٤) الصور ١٣-٧-١٩٤٦

وتوجيهم وهم يقتنعون بالتزعم فيكتفون بأن يكونوا لسان حال الجماهير . تلك هي مصيبة الأمم الشرقية في زعمائها ، أنهم في الواقع تابعون لا متبوعون ، ومزعمون لا متزعمون ، ولو فعلوا غير ذلك لفقدوا مكانهم ومن هنا يتضح لك أن الزعامات الشعبية ضعيفة لا تقبض على الزمام بيد من حديد وإنما بيد من حرير .

لا يزال زعماء سنة ١٩٢٠ هم زعماء ١٩٤٦

احتكرنا الزعامة وحرمناها على غيرنا فقتلنا التجديد في القيادة الشعبية وظلت العربة القديمة بخيولها القديمة تلف وتدور من غير طائل

(٢٠) هذا العمر الطويل الذى انقضى فى المعارك الحزبية ، والمظاهرات والاحتجاجات ، والأحزاب التى لا تعمل شيئا خارج الحكم إلا التربص بمن فى الحكم الدوائر ليسقطوا ليخلفوهم . لو صرفت الأحزاب أنصارها إلى تدعيم الانتاج الأهلى والشعبى فى التعليم والصناعة والزراعة والصحة ، لو اتخذت من جرائدها واجتماعاتها وسائل لتقوية الثقافة الوطنية ومكافحة الأمية . لو أرسلت البعوث إلى دول الشرق والغرب لتحصيل العلوم الطبيعية والتجريبية لكان لنا من وراء ذلك قوى نضغط بها على انجلترا .

(٢١) علة العلل أننا ملتزم من عشرين عاما مواقف سلبية فى غاية الخطورة على قضية البلاد ، وحقوق البلاد ، وثقة البلاد فى زعمائها الذين يتناوبون الحكم فلا يتقدمون ولا يتقهقرون .

(٢٢) لم نربح من الحزبية والبرلمانية شيئا إلا هذا الهبوط فى المستوى الوطنى ، وانتقال القضية من كفاح وجهاد ونضال ، وثورة ووطنية وحماسة وإيمان وعزة وحرية وقوة ورجولة وإجماع إلى ما ترى من مناورات ومناوضات ومساومات ومحاورات ومماطلات ومطاولات ، وسياسة ومعاهدات وتناحر حزبى وتمزيق لجسد الأمة وقتل لروحها ، واحتلال اقتصادى وسياسى وعسكرى واجتماعى وثقافى ، ووجود طوائف عجيبـــة من الأحزاب السياسية وفديين ودستوريين ومستقلين واتحاديين وشعبيين وسعديين وكتليين ، يمثل كل حزب

من هؤلاء واحد، هو كل شىء فى الحزب، لا برامج ولا أهداف، ولا شىء مطلقا إلا الحكم يجمعهم ويوحد بينهم ويفرقهم ويدفع بهم إلى الخصومة، وصحافة عجيبة، قلما تتحرر من ضغط الأحزاب، واستعمال ألفاظ السباب والفحش والاتهام، أو حياد عجيب، هو فى ذاته عداء لقضية الوطن واستدرار لأموال الانجليز واليهود والسفارات والحكم فى أيدى المصريين إسما وصورة ومظهرا وفى أيدى الانجليز فعلا ومعنى، ودليل ذلك الانذارات المسلحة وغير المسلحة، وبعد أن كانت مقاطعة لجنة ملنر مثلا خالدا فى تاريخ الجهاد وأضراب الزعماء عن الحكم سنة ١٩٢٢ أصبحنا نتناحر على مشاريع المعاهدات نفرضها على الشعب بالحديد والنار ونكمم الألسنة والأقلام والصحف والهيئات ونفرض عليها الحصار العسكرى واستطاع الانجليز أن يقسمونا إلى متطرفين ومعتدلين فيرون فى أهل الوطنية والكفاح وإيقاظ عزائم الأمة ما يسمونه تطرفا ونرى نحن فيمن يسمونهم معتدلين معنى الضعف والمهاونة والرضى بالطغيان والاستبداد وقبول الاحتلال ولكننا عائدون إلى وطنية الجهاد مرة أخرى وقد تم النضج الوطنى والوعى الاسلامى الكامل وان يكون أمره ثورة أو مظاهرة أو هتافا وانما تجديد كامل شامل لا تقبل معه هذا الظلم والاحتلال والطغيان بفضل المجاهدين الأحرار متمثلا بقول عمر رضى الله عنه (يعجبنى من سيم الخسف أن يقول (لا) بملء فيه.

(٢٣) نبت (١) (النظام البرلمانى) فى بداية هذا (الربع قرن) وطبل له المطبلون وزمر له المزمرون ورقص له الراقصون فلم أؤمن به، وما زلت كافرا بنعمته وفضله، وإن كنت أشترك فى مآسيه وآثامه. فقد نشأ النظام البرلمانى فنشأت معه الحزازات والخلافات والضغائن والاحقاد ومات الجهاد وحلت محله المطامع، وانشغل الأقطاب وانشغلت الأحزاب عن (الاحتلال) (بلا طوغلى) وحلت المعارك (الدستورية) بين القصر والأحزاب محل

---

(١) الأستاذ فكرى أباظة (عدد الصباح الممتاز بمناسبة مرور ربع قرن)

معارك الاستقلال والحرية ! وساءت الادارة وتعدى الأنصار على حقوق غير الأنصار ففشت المحسوبية وتضخمت الماديات وطغى (الاستغلال) على الاستقلال وطغت المصلحة الشخصية على الحرية ، وبقى الاحتلال !

ماذا أجدت البرلمانية غير الفوضى ، وعدم الاستقرار ، والقطيعة بين كل الاحزاب ، وحملات الثأر والانتقام ، وحربا أهلية لو وجدت السلاح لسفكت الدم وحصدت الأرواح وأزهقت النفوس وملأت السجون بالضحايا ولكن الله سلم !.

فشل (البرلمانية) فى مصر طبيعى : ما استقام فى أية بلد حال برلمان مع احتلال ! الاحتلال المسيطر يقتل كل السلطات ومنها السلطة البرلمانية فلا تملك أن تقضى أو تبرم ، أو تنسخ أو تسقط وزارة ، أو تقيم وزارة ، وإنما تبقى هكذا (هيكلا) أو (شكلا) أو (أداة) للحكم ومطيه للحكام :

(٢٤) الصحافة(١) ، كانت قبل الاستقلال المزيف والبرلمانية المزيفة لا تعرم إلا الكفاح والجهاد أما اليوم فالبرغم من انتعاشها وانتفاخها ويسرها وغناها واستمحالها تعمل (موظفه) عند مخالف الأحزاب تنقل للرأى العام أوامر الزعماء وأغراض الزعماء وأهواء الزعماء . . . وبعد أن كانت وثيقة الصلة بالشعب اتخذتها (عصابات الاحزاب) أداة مسخرة لشهواتها ومطامعها فدفنت رسالتها العالية الحرة المستقلة ، فى قبر من قبور العبودية الحزبية . . . .

(٢٥) أن(٢) سوابق الانجليز معنا تؤكد بصورة لا حيلة لاحد على إنكارها أنهم طغاة لا يعترفون بالحق ، ولكن يرضخون للقوة ، ليس لهم كلمة ولا عهد ولا ميثاق ، وقد جربناهم فى أنفسنا أربعة وستين عاما فلقينا منهم الويل والشقاء وسوء العذاب .

ساقونا فى الحرب العالمية الأولى إلى الدمار ، أخذوا عمالنا وغذائنا وماشيتنا وفرضوا علينا الجهل والجوع والمذلة ، ونهضت مصر نهضتها فى إعقاب تلك

---

(١) نفس المصدر .

(٢) آخر ساعة ١٤ أغسطس ١٩٤٦ .

الحرب وأريق فى تلك النهضة دم وبذلت تضحيات ، ومات شباب، وقد قاوموا نهضتنا بالحديد والنار ، قتلونا ولكن لم يقتلوا شعورنا ولا إيماننا بحقنا . فتركوا أسلوب القوة ولجأوا إلى أسلوب الخداع ، ولقد نجح هذا الاسلوب لانه قلب قادتنا وزعمائنا من دعاة وطنية إلى سماسرة مفاوضات ولكن لم ينجح فى زحزحة الامة عن التمسك بحقها والشعور بقسوة الطغيان عليها .

وتمت معاهدة ١٩٣٦ فكانت وبالا علينا ، وجاءت الحرب فادينا كل التزاماتنا ولم نأخذ بعض حقنا ، أشعلنا النار (لحلفائنا) ضد أعدائهم فى بلادنا فجعلونا نحن وقود النار ، أخذو طعامنا وحرضوا الجائعين علينا . وجردونا من ملابسنا ولامونا على أن عندنا عرايا . هدو قوانا وعيرونا بأننا ضعاف وارتكبوا معنا خلال الحرب من الجرائم والآثام ما لا يكفى لمحوه صلاة ولا صوم ولا استغفار .

وبعد

فهذه هى كلمات الكتاب الأحرار سجلناها فى ختام هذا البحث حتى لا يرمينا (مغرض) باننا نصدر عن هوى ، فقد أجمع أحرار الفكر على أن هذه الحياة النيابية الجديدة القائمة مع الاحتلال كانت نكبة كبرى على الوطنية وعلى الحرية وأنها شغلتنا بأنفسنا عن جهاد الغاصبين ، وأنها مكنت للانجليز ولم تدفعهم وإنها مزقت الأمة بعد وحدة ، ونقلت القضية من العداء والكفاح والصراحة إلى المناورات والمفاوضات والنفاق ، وأن الحكم أصبح مطية الأحزاب والزعماء ، وإننا تأخرنا كثيرا عما كنا سنة ١٩١٩ .

ولكن نفحة جديدة من نفحات اليقظة قد هبت على هذا الوطن فأذكت وعيه ودفعته إلى النضال من جديد فى قوة وحرية .

ولقد احببنا أن نفصل هنا وقائع الحياة السياسية فى مصر منذ ثورة ١٩١٩ فتكلمنا عن الدستور والبرلمان ولا تزال أمامنا بقية من الحديث عن

(الأحزاب والزعماء) وعن سلطان المندوبين الانجليز على الحكومات وعن قضية المفاوضات والمعاهدات

ثم نختم هذا البحث الصريح بتفصيل دقيق لقضية جنوب الوادى (النيل لا يتجزأ) وإننا نسأل الله تبارك وتعالى أن يوجهنا إلى الخير وأن يجعل عملنا هذا خالصا له .

وإننا لانستطيع مطلقا أن نؤمن بأن هناك طريق للظفر بالحقوق إلا طريق الوحدة والتجمع والايمان الصحيح بهدم بالآثار المظلمة التى دعم الانجليز قواعدها فى جوانب الحياة المصرية هذه الآثار التى أصابت الوطنية والاجتماع والاقتصاد والثقافة والحكم . وإننا إذا آمنا بأن الانجليز كانوا دائما لنا خصوم الداء وأعداء منافقين ، يبطنون فى أنفسهم الغل الدفن ويكشفون الألفاظ البراقة الخداعة ، إذا آمنا بذلك واقتنعنا به لزم أن نقف منهم الوقفة الصريحة التى يعرفها الاسلام ويأمر بها دستوره القرآن (وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء أن الله لايحب الخائنين) فجاهروا بالخصومة واعملوا عمل الاذكياء العقلاء الحكماء فى ميادين العلم والاقتصاد والانشاء والتعمير لا عمل الطائشين المتهورين والله ناصركم وهو غالب على أمره وهو حسبنا ونعم المولى ونعم النصير

أنور الجندى

أول كل شهر من الاشهر القادمة

(١)

بين لاظوغلى وقصر الدبارة

(٢)

تاريخ الأحزاب السياسية والزعماء

(٣)

دسائس الاستعمار فى الشرق

(٤)

النيـــــــل لا يتجزأ